

بَيْتُ الْمُقَدَّسِ

د. محمد عثمان شبيب

افتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .
أما بعد . . فإن الله تعالى فضل من الأرض بقاعاً اختصها بتشريفه وتعظيمه، وجعلها موطن للعبادة والطاعة، تضاعف فيها الحسنات وتنمو بها الأجور، وأخبرنا بذلك على ألسن رسله، وأنبيائه، لطفاً بعباده، وتسهيلاً لطرق الخير والسعادة لهم، وأفضل هذه البقاع هي : مكة المكرمة، والمدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، وبيت المقدس .

فمكة المكرمة أرض البيت الحرام الذي بناه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، جعله الله تعالى مثابة للناس وأمناً، وقال صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة فيها : « إن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يُعضد شوكة ولا يُنفر صيده، ولا تلتقط لقطته إلا من عرفها، ولا يختلى خلاه^(١) فقال العباس : يا رسول الله، إلا الأذخر^(٢) فإنه لقينهم^(٣)

(١) لا يختلى خلاه : أي لا يقطع نباتها الرطب .

(٢) الأذخر : نبات طيب الرائحة .

(٣) قينهم : الحداد والصانع ومعناه يحتاج إليه القين في وقود النار .

وبيوتهم فقال : إلا الاذخر» أخرجه البخاري ومسلم^(١)، وعن عبدالله بن عدي بن الحمراء رضى الله عنه قال : «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفاً على الخزوة^(٢) ويقول : والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أني أخرجت منك ماخرجت» أخرجه الترمذي^(٣).

وأما المدينة المنورة فقد بناها يثرب بن مهلائل الذي ينتسب إلى العمالة ، هاجر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم لإقامة دين الإسلام بها ، وبنى مسجده فيها ، وكان ملحده الشريف في تربتها ، وقال صلى الله عليه وسلم فيها : «إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها - وفي رواية دعا لأهلها - ، وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ، وإني دعوت في صاعها ومدها بمثلي مادعا به إبراهيم لأهل مكة» أخرجه البخاري ومسلم^(٤).

وأما مدينة بيت المقدس فقد بناها اليبوسيون في حدود سنة (٣٠٠٠ ق.م) وأطلقوا عليها اسم «يبوس» نسبة إلى جدهم الأول الذي ينتمي إلى الكنعانيين الذين هاجروا من الجزيرة العربية ، واستوطنوا فلسطين في حوالي سنة (٤٠٠٠ ق.م) وفيها المسجد الأقصى الذي هبىء للعبادة بعد المسجد الحرام بأربعين سنة كما ثبت في الحديث^(٥) ، وهي مهبط الملائكة ، ومبعث الأنبياء ، ومزارهم ، ومدفنهم ، وهي معراج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى السماوات العلى .

وتعتبر مدينة بيت المقدس أهم مدن فلسطين ، فهي بمثابة القلب من الجسد ، وهي أم المدن الفلسطينية وقراها . قال ابن الأثير في تحديد بقعة فلسطين : «كورة معروفة ما بين الأردن وديار مصر ، وأم بلادها بيت المقدس»^(٦) أي أن مدن فلسطين كلها تبع لبيت المقدس وفرع عنها ، وهي أصل البلاد ، وليس لها في المدن الفلسطينية

(١) ابن الأثير : جامع الاصول ٢٨٨/٩ وشرح النووي على مسلم ١٢٥/٧ .

(٢) الخزوة : موضع بمكة عند باب الخناطين وهو بوزن قسورة قال الشافعي : الناس يشددون الخزوة والحديبية وهما مخفقتان (النهاية لابن الأثير ٣٨٠/١)

(٣) ابن الأثير : جامع الاصول ٢٩٢/٩

(٤) نفس المرجع ٣٠٨/٩ .

(٥) انظر الحديث في المبحث الثاني .

(٦) ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث - دار الفكر بيروت ٤٧١/٣ .

عديل ، كما يقال عن مكة أم القرى ، وعن سورة الفاتحة أم القرآن .
وقد ثبتت لبیت المقدس وماحوله خصائص عامة ، وأحكام خاصة في القرآن
والسنة بعضها متناثر في كتب الفقه والأحكام ، وكتب التفسير ، وشروح الأحاديث ،
وبعضها جمع في كتاب مستقل ، لكن يعوزه التحقيق والتخريج لكثير من الأحاديث
والآثار ، كما يعوزه التحقيق العلمي للمسائل الفقهية التي وردت فيه ، فقامت بهذا
البحث قاصدا أمرين :

الأول - إبراز خصائص بيت المقدس وماحوله بصورة واضحة وجليّة ، معتمدا على
ماصح من الأحاديث والآثار ، لتكون باعثا قويا لنفوس المسلمين على التعلق القلبي
ببيت المقدس وماحوله ، ودافعا حقيقيا للشعور بمسئولية التحرير الكامل لأرض
فلسطين .

والثاني - التحقيق العلمي في المسائل والأحكام الفقهية الخاصة ببيت المقدس ، ليكون
المسلم على بصيرة من أمره حينما يسمع بحكم أو ينوي تطبيق حكم منها ، ومن هذه
الأحكام :

- ١ - حكم الأرض المفتوحة عنوة أو صلحا .
- ٢ - استمرار صفة الإسلامية على أرض فلسطين بعد الاغتصاب .
- ٣ - حكم زيارة المسجد الأقصى ، وشد الرحال إليه .
- ٤ - فضل الصلاة في المسجد الأقصى .
- ٥ - حكم الإحرام من المسجد الأقصى بالحج أو العمرة .
- ٦ - حكم اقتراف السيئات في الحرم القدسي .
- ٧ - فضل المجاورة للمسجد الأقصى .

وقد تناولت بالشرح والتحليل ثلاث خصائص عامة لأرض بيت المقدس وما
حوله ، وهي : البركة ، والقدسية ، والإسلامية ، وخصصت لكل منها مبحثا . تكلمت
في المبحث الأول : عن معنى بركة أرض بيت المقدس وما حوله ، ومنشأ البركة
المعنوية فيها وآثارها .

وتكلمت في المبحث الثاني : عن معنى قدسية أرض بيت المقدس وماحوله ،
ومنشأ هذه القدسية وآثارها .

وتكلمت في المبحث الثالث : عن إسلامية أرض بيت المقدس وما حوله ،
ومنشأ هذه الإسلامية ، وأثر الفتح الإسلامي على بيت المقدس وما حوله ، والأحكام
الفقهية الخاصة ببيت المقدس وما حوله .

وختمت بحثي هذا بخاتمة لخصت فيها أهم نتائج البحث .
والله أسأل أن يتقبل مني هذا الجهد المتواضع ، ويجعله في ميزان حسناتي يوم
لا ينفع مال ولا بنون .

د . محمد عثمان شبير

المبحث الأول

بركة أرض بيت المقدس وما حوله

لقد نص الله تعالى على بركة أرض بيت المقدس وما حوله في كتابه الكريم ومن ذلك قوله تعالى : « سُبْحَنَ الَّذِي أُنْزِلَتْ بِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْإِبْتِنَاءِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ »^(١) وقوله تعالى : « وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ »^(٢) أي أن الله نجى إبراهيم ولوطاً عليهما السلام، إلى الأرض المباركة ، وهي : أرض الشام، ومنها فلسطين - كما قال المفسرون^(٣) - بعد أن كانا في العراق .

وقوله تعالى : « وَلَسْلُمْنَا الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ »^(٤) أي لسليمان عليه السلام تسخير الريح تهب بشدة، وتجري بسرعة إلى الأرض التي باركنا فيها، وهي : أرض الشام^(٥)

معنى البركة :

والبركة في لغة العرب : النمو والزيادة في الخير، وأصل البرك صدر البعير، وسمى محبس الماء بركة .

والبركة مشتقة من بارك الله في الشيء ، ، وبارك عليه ، وبارك له^(٦) والبركة في الشرع : « ثبوت الخير الإلهي في الشيء »^(٧) كثبوت الماء في البركة . والمبارك ما فيه ذلك

(١) آية : ١ من سورة الاسراء .

(٢) آية : ٧١ من سورة الانبياء .

(٣) ابن الجوزي : زاد المسير - المكتب الاسلامي بيروت ط ١٩٦٤ م ٣٦٨/٥ ، القرطبي : الجامع لأحكام القرآن - دار احياء التراث العربي بيروت ٣٠٥/١١ .

(٤) آية : ٨١ من سورة الانبياء .

(٥) انظر : ابن الجوزي : زاد المسير ٣٧٤/٥ ، القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٣٢٢/١١ .

ابن كثير : تفسير القرآن العظيم - دار المعرفة بيروت ١٨٧/٣ .

(٦) انظر : الفيومي : المصباح المنير - المطبعة الاميرية - بالقاهرة ط ١٩٢٦ م ٦٢/١ ،

الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن - مطبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة ١٩٦١ م ص ٤٤ .

(٧) الأصفهاني : المرجع السابق .

الخير الالهي .

بركة أرض بيت المقدس الحسية .

وبركة أرض بيت المقدس : حسية، ومعنوية . فالحسية : بالخصب والثمار، والأشجار والأنهار، وعذوبة الماء، والسهول، والجبال ، والمنخفضات، وبموقعها المتوسط، فهي قلب الوطن الإسلامي : حدودها من الشمال لبنان، ومن الشمال الشرقي سورية، ومن الشرق الأردن، ومن الجنوب خليج إيلات، ومن الجنوب الغربي شبة جزيرة سيناء، ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط . وهي بوابة القادمين من آسيا في طريقهم إلى إفريقية، وبالعكس، وهي إحدى المنافذ المطلة على البحر المتوسط باتجاه أوروبا ، وهي الممر الذي لا بد من اجتيازه منذ قرون وقرون لمعظم القوافل المتحركة من الشمال إلى الجنوب، وبالعكس، وهي فضلا عن ذلك ذات موقع وسط بين بلدان العالم القديم على المستويين : الحضاري والعسكري، وربما كان هذا أحد الأسباب الرئيسة لاختيارها مبعثا لعدد من الأنبياء، ومستقرا للرسالات السماوية، ومنطلقا للجيوش الغازية والفاتحة لما حوّلها من البلاد، فقد مر بها الإسكندر المقدوني عندما غزا مصر سنة (٣٣٢ ق. م) واتخذها عمرو بن العاص قاعدة لانطلاق الجيوش الإسلامية لفتح مصر، وآثر المرور عبر السهل الساحلي ليُسّر المسير خلاله ومعرفة العرب دروبه، وقد كانت موانئ فلسطين قواعد لسفن المسلمين المتجهة لفتح جزر البحر الأبيض المتوسط .

ومن مظاهر البركة الحسية لأرض فلسطين : النشاط الزراعي الكثيف الذي تمخض عن وفرة في البحار والعيون والأنهار. قال ابن كثير - في بيان معنى قوله تعالى «باركنا حوله» - بالزروع والثمار^(١). وقال ابن الجوزي : ومعنى «باركنا حوله» أن الله أجرى حوله الأنهار وأنبث الثمار، وقيل : لأنه مقرُّ الأنبياء، ومهبط الملائكة^(٢) ولقد لفت هذا النشاط نظر الرحالة والجغرافيين الذين زاروا فلسطين، فأشاروا

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٢/٣ .

(٢) ابن الجوزي : زاد المسير في علم التفسير ٥/٥ .

إليه وقالوا عن فلسطين : إنها من أخصب بلاد الشام ، وأكثرها عمراناً على صغر رقعتها^(١) ، ثم وقفوا عند أشهر مدنها فحدثونا عما شهده فيها من زروع وثمار . . . فالقدس تعد من أخصب بلدان فلسطين^(٢) ، تحيط بها بساتين وكروم ، ومزارع وأشجار فاكهة وزيتون^(٣) . وتنتشر حولها قرى كثيرة الزروع والأشجار ، وقد ازدهرت فيها زراعة الاترج ، واللوز ، والجوز ، والتين والموز ، فضلاً عن السماق^(٤) . ومما لا شك فيه أن أكثر مزروعات القدس وفرة الزيتون الذي يستخرج منه الزيت ، وكانوا يحفظونه في الآبار والأحواض ، ليصدروه إلى أطراف العالم^(٥) .

ولا تقل نابلس عن القدس في كثرة أشجار الزيتون فضلاً عن البطيخ الأصفر المنسوب إليها ، والذي اشتهر بطعمه اللذيذ^(٦) . ويصفها الدمشقي بأنها قصر في بستان^(٧) ، وبلغ من ازدهارها الزراعي : أن إقليمها اشتمل على ثلاثمائة قرية^(٨) .

واشتهرت أريحا بزراعة : النخيل ، والموز ، والريحان ، وقصب السكر^(٩) ، كما اشتهرت بيسان بكثرة بساتينها وبخاصة النخيل والرز^(١٠) ، وعرفت الرملة بكثرة فواكهها ، وبخاصة التين والنخيل^(١١) ، واشتهر تينها بأنه لا يوجد له مثل في أي مكان آخر ، وكانت تصدر منه كميات كبيرة إلى مختلف البلاد^(١٢) . وتقع مدينة الخليل في

(١) ابن حوقل : صورة الأرض - منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ص ١٥٩

(٢) نفس المرجع .

(٣) اسحق بن الحسين : احكام المرحان ص ١٣ نقلا عن بحث فلسطين في الادب الجغرافي العربي للدكتور عماد الدين خليل - ضمن كتاب دراسات تاريخية - المكتب الاسلامي بيروت ط ١٤٠٣/١ هـ - ١٩٨٣ م ص ١٢٦

(٤) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٦٦ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ١٦٩/٥ .

(٥) ناصر خسرو : سفرنامه ص ١٩ نقلا عن بحث فلسطين في الادب الجغرافي ص ١٢٦ .

(٦) رحلة ابن بطوطة - دار احياء التراث العربي ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م ص ٥٦ ، الدمشقي : نخبة الدهر وعجائب البر والبحر - طبعة ١٩٢٣ م ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

(٧) الدمشقي : المرجع السابق .

(٨) الظاهري : زبدة كشف الممالك - مطبعة الجمهورية بباريس ص ١٤٦ .

(٩) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٧٥ ، القزويني : أثار البلاد وأخبار العباد - دار صادر بيروت ص ١٤٢ .

(١٠) المقدسي : المرجع السابق ص ١٦٢ - ١٨٠ ، أبو الفداء : تقويم البلدان - دار الطباعة السلطانية بباريس ١٨٤٠ هـ ص ٤٣ .

(١١) المقدسي : المرجع السابق ص ١٦٤

(١٢) ناصر خسرو : سفرنامه ص ١٩ نقلا عن بحث فلسطين في الادب الجغرافي ص ١٢٧ .

وهدة بين جبلين، وهي ملتفة الأشجار، كثيرة الثمار^(١)، وبخاصة الأعناب والتفاح، والزيتون، والتين والخرنوب، والتي اشتهرت بكثرتها وكانت تصدر منها كميات كبيرة إلى مصر.^(٢)

وازدهرت عكا بزراعة أشجار الفواكه والزيتون^(٣). وانتشرت في حيفا أشجار الفواكه وبخاصة النخيل^(٤)، وعلى سبعة فراسخ من عكا تقع قيسارية التي ازدهرت فيها زراعة الفواكه، وبخاصة النخيل والحمضيات وقد وصفها المقدسي : بأنه ليس على بحر الروم (البحر المتوسط) بلد أجمل ولا أكثر خيرات منها، وأنها تغور نعماً^(٥). ولا تقل عنها خصباً عسقلان، ذات البساتين والثمار، والتي يكثر فيها الزيتون والكروم واللوز والرمان فضلاة عن النخيل^(٦).

وأما مدينة غزة التي كانت تعرف بغزة هاشم (جد الرسول صلى الله عليه وسلم) فقد وصفت بأنها كثيرة الشجر كسباط - بساط - ممدود، وقد ازدهرت فيها بشكل خاص زراعة الكروم والحمضيات.^(٧)

وكثرت في منطقة صفد أشجار الكمثرى المسكي المعطر الرائحة، الطيب الطعم، والأترج الذي اشتهر بحجمه الكبير، الذي يبلغ وزن الواحدة منه نحواً من ستة أرتال دمشقية على عهدة الدمشقي.^(٨) وهنالك - أيضاً - الكروم والزيتون والبطم والخروب والسفرجل وأنواع كثيرة من الفواكه، وبلغ من اتساع نشاطها الزراعي أن اقليمها كان يضم - حسبها ذكر الظاهري - ألفاً ومائتي قرية.^(٩) وفي الجملة فإن سائر جبال فلسطين وسهولها ملأى بالزيتون، والتين،

(١) ابن الوردي : فريدة العجائب وفريدة الغرائب - مطبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة ١٣٥٨ هـ ص ٤٢، ابن حوقل : صورة الأرض ص ١٥٨.

(٢) المقدسي ، أحسن التقاسيم ص ١٧٢، أبو الفداء ، تقويم البلدان ص ٢٤١.

(٣) المقدسي : المرجع السابق ص ١٦٢.

(٤) ناصر خسرو : سفرنامه ص ١٨ نقلاً عن بحث فلسطين في الادب الجغرافي ص ١٢٧.

(٥) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٧٤.

(٦) المقدسي : المرجع السابق، الدمشقي : نخبة الدهر ص ٢١٣، الظاهري : زبدة كشف الممالك ص ٤٢.

(٧) الدمشقي : نخبة الدهر وعجائب البر والبحر ص ٢١١.

(٨) نفس المرجع.

(٩) الظاهري : زبدة كشف الممالك ص ٤٢.

والجميز، والعنب، وسائر الفواكه^(١)، فضلاً عن قصب السكر التي ازدهرت زراعته في الغور، والقطن الذي كان يزرع في أطراف القدس، ويصدر الى عدد من البلاد.^(٢) ويرجع سبب هذه الكثرة في الأشجار والثمار إلى وفرة في المياه ففلسطين تقع على البحر المتوسط، وفيها البحر الميت وبحيرة طبرية، وهي بحيرة مشهورة، وماؤها عذب، وعلى جانب شواطئها تتفجر ينابيع شديدة الحرارة، وبخاصة عينها الجنوبية التي «تسلق البيض وتنضج اللحم» وماء هذه العيون ملحي كبريتي يُتخذ علاجاً طبيعياً لترهل البدن والجرب، وتزايد البلغم، وغير ذلك^(٣)، وفيها العيون والجداول والأنهار كعيون عسقلان، وعيون أريحا، وعيون وأنهار بيسان، وعيون الخليل، وعيون قيسارية، وعين سلوان في القدس، وغير ذلك^(٤). هذا بالإضافة إلى كمية الأمطار الكبيرة التي تسقط على أرض فلسطين في فصل الشتاء.

البركة المعنوية لأرض بيت المقدس وما حوله.

وثمة جانب مهم من جوانب البركة التي اختص الله بها أرض بيت المقدس وما حوله، وهي : البركة المعنوية.

أولاً : منشأ البركة المعنوية لأرض بيت المقدس وما حوله.

إن منشأ البركة المعنوية لأرض فلسطين يرجع إلى عدة أمور، وهي : كون هذه الأرض مبعث الأنبياء ومهبط الملائكة، وكونها العش الذي يرقد فيه الأنبياء والأرض التي يبعثون منها، وكونها أرض المحشر، والمشر، والحساب، ووضع الموازين للناس.

١ - أرض فلسطين مبعث الأنبياء ومهبط الملائكة.

شهدت أرض فلسطين عامة، وبيت المقدس خاصة، نزول الوحي السماوي

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ص ١٥٨ - ١٥٩.

(٢) المقدسي : احسن التقاسيم ص ١٨٠

(٣) الدمشقي : نخبة الدهر وعجائب البر والبحر ص ٢١١ - ٢١٢، رحلة ابن بطوطة ص ٥٨

(٤) ياقوت الحموي : معجم البلدان ١٦٨/٥.

على كثير من الأنبياء كداود وسليمان، وعيسى عليهم السلام، الذين نشأوا وترعرعوا في أرض فلسطين، وعلى إبراهيم، ولوط، وموسى، عليهم السلام، الذين هاجروا إلى تلك الأرض المباركة.

قال تعالى - في هجرة إبراهيم ولوط عليهما السلام إلى أرض فلسطين :- «فَأَمَرَ لَهُ لُوطُ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»^(١). قال قتادة : هاجرا جميعا من «كوثي» وهي من سواد الكوفة إلى الشام^(٢). وقال تعالى : «وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ»^(٣) أي نجي الله إبراهيم وابن أخيه لوطا عليهما السلام إلى الأرض المباركة وهي : أرض الشام - كما بينا سابقا.

وقال تعالى - في هجرة موسى عليه السلام إلى أرض فلسطين - : «وَجِئْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ»^(٤)، وطُلب موسى عليه السلام من قومه الاستمرار في هجرتهم ودخول أرض فلسطين فقال : «يَتَقَوْمٌ آدَخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ»^(٥)

ولم يقتصر نزول الملائكة إلى هذه الأرض المباركة على الإيحاء بالتحاليم السماوية للأنبياء الذين بعثوا في هذه الأرض أو هاجروا إليها، وإنما تخطى ذلك بنزول دائم للملائكة، فهي تبسط أجنحتها على أرض الشام، كما ورد في الحديث الذي رواه زيد ابن ثابت رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «ياطوبى للشام، ياطوبى للشام، قالوا : يارسول الله، وبم ذلك ؟ قال : «تلك ملائكة الله باسطة أجنحتها على الشام»^(٦) أي أن الملائكة تحفها وتحوطها بإنزال

(١) آية ٢٦ من سورة العنكبوت.

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم - دار المعرفة ببيروت.

(٣) آية ٧١ من سورة الأنبياء.

(٤) آية ١٣٨ من سورة الاعراف.

(٥) آية ٢١ من سورة المائدة.

(٦) رواه الترمذي في صحيحه ٧٣٤/٥، واحمد بن حنبل في مسنده ١٨٤/٥، والطبراني والحاكم قال : الهيثمي في

مجمع الزوائد (١٠/٦٠)، «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح» وقال الحاكم : «صحيح على شرط الشيخين»

، فيض القدير للمناوي ٢٧٤/٤.

البركات ودفع المهالك والمؤذيات.^(١)

بهذا وبغيره استحققت أرض الشام عامة وفلسطين خاصة : أن توصف بالبركة كما قال الزمخشري : «وقد جعل الله أرض الشام بالبركات موسومة ، وحقت أن تكون كذلك ، فهي مبعث الأنبياء ، ومهبط الوحي ، ومكانهم أحياء وأمواتا»^(٢) ، وقال أبو عبدالله المنهجي : «وجعل - أي الرب سبحانه - صفوته من الأرض كلها أرض بيت المقدس . . وقال تعالى لموسى : انطلق إلى بيت المقدس . . وتاب الله على داود وسليمان عليهما السلام في أرض بيت المقدس ، وسخر الله لداود الجبال والطير ببيت المقدس ، وكانت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يقربون القرابين ببيت المقدس ، وتهبط الملائكة عليهم السلام كل ليلة إلى بيت المقدس . . وولد عيسى عليه السلام ببيت المقدس ، ورفع الله تعالى إلى السماء من بيت المقدس . .»^(٣)

٢ - أرض فلسطين معدن الأنبياء ، وعشهم الذي يرقدون فيه .

يرقد في أرض فلسطين كثير من الأنبياء ، منهم : أبو الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام ، وقبره معروف في مدينة الخليل^(٤) ، وإسحق ويوسف ويعقوب عليهم السلام . وسيدنا موسى عليه السلام ، قبره على رمية حجر من بيت المقدس . قال ابن الجوزي : «وفي الأرض المقدسة : إبراهيم ، وإسحق ، ويعقوب ، ويوسف عليهم السلام»^(٥)

روى مسلم وغيره عن أبي هريرة قال : أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام ، فلما جاءه صكه ففقا عينه ، فرجع إلى ربه فقال أرسلتني إلى عبد لا يريد

(١) المناوي : فيض القدير - دار المعرفة ببيروت ٢٧٤/٤ .

(٢) نقله عنه المناوي في فيض القدير ٣٤٢/٤ .

(٣) أبو عبدالله محمد المنهجي السيوطي : تحاف الأخصاص بفضائل المسجد الأقصى تحقيق أحمد رمضان أحد - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢م ١/ ١٠٥ - ١٠٦ .

(٤) اختلف العلماء في ثبوت القبر المعروف في مدينة الخليل لسيدنا إبراهيم عليه السلام ، ولكن الصحيح الذي عليه الجمهور - كما قال ابن تيمية في الفتاوي (٤٤٥/٢٧) - أنه قبره أما قبر يونس والياس وشعيب وإسحق فلا يعرف .

(٥) ابن الجوزي : فضائل القدس تحقيق الدكتور جبرائيل جبور - منشورات دار الافاق ببيروت ص ٩٧ .

الموت . قال فرد الله إليه عينه وقال ارجع إليه . فقل له يضع يده على متن ثور - أي على ظهره - فله بما غطت يده بكل شعرة سنة . قال : أي رب ثم مه ؟ قال ثم الموت . قال : فالآن ، فسأل الله أن يدنيه الأرض المقدسة رمية بحجر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر»^(١) قال المازري : وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث ، وأنكروا تصويره ،

فقالوا : كيف يجوز على موسى فقاء عين ملك الموت ؟

والجواب عن ذلك : بأن معنى الحديث صحيح ، ومعناه : أن موسى عليه السلام لم يبعث إليه ملك الموت وهو يريد قبض روحه حينئذ ، وإنما بعثه اختباراً وابتلاء ، كما أمر الله تعالى خليله بذبح ولده ولم يرد إمضاء ذلك ، ولو أراد أن يقبض روح موسى عليه السلام حين لطم الملك لكان ما أراد . وأما اللطمة فهي مباحة عند موسى عليه السلام ، إذ رأى آدمياً دخل عليه ولا يعلم أنه ملك الموت ، وقد أباح الرسول صلى الله عليه وسلم فقاً عين الناظر في دار المسلم بغير إذن ، ومحال أن يعلم موسى عليه السلام أنه ملك الموت ويفقأ عينه . وقد جاءت الملائكة إلى إبراهيم عليه السلام فلم يعرفهم ابتداءً ، ولو علمهم لكان من المحال أن يقدم إليهم عجباً ؛ لأنهم لا يطمعون .

بعد دفع هذا الإشكال في معنى هذا الحديث ، نبين موطن الشاهد وهو سؤال موسى ربه أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر .

والأرض المقدسة هنا بلاد الشام عامة ، وبيت المقدس خاصة ، لفضل من دفن فيها من الأنبياء ، فاستحب مجاورتهم في الممات . فإن قيل : لم سأل الإدناء منها ولم يسأل الدفن فيها ؟ أجيب : بأن موسى عليه السلام إنما طلب ذلك عندما كان في أرض التيه ، مع جيل الهزيمة من اليهود الذين فسدت طبائعهم ، نتيجة ظلم الفراعنة لهم ، حيث طبعت فطرتهم بطابع المهانة والذل والجبن والعبودية للبشر . فتركهم الله تعالى في التيه أربعين سنة إلى أن أفناهم الموت . والأصل : أن النبي يدفن حيث يموت ولا ينقل .^(٢)

(١) رواه البخاري في صحيحه ٩٢/٢ ، ومسلم في صحيحه ١٨٤٢/٤ .

(٢) انظر : العيني : عمدة القاري - دار الفكر بيروت ١٤٩/٨

فلما كان موسى عليه السلام يعرف أن فتح بيت المقدس لا يمكن أن يتحقق على يد جيل الهزيمة الذي خرج من مصر، سأل الله أن يقربه من بيت المقدس، ليدفن بالقرب من الأنبياء والصالحين.

وقيل : لأنه خاف أن يكون قبره مشهوراً عند بني إسرائيل ، فيفتنوا به .^(١)

ومن الأدلة على أن أرض فلسطين معدن الأنبياء : أن الله عز وجل جمعهم لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وصلى بهم إماماً في المسجد الأقصى . روى ابن عباس رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المسجد الأقصى قام يصلي ، فالتفت ، ثم التفت ، فإذا النبيون أجمعون يصلون معه^(٢) وقال ابن كثير : «بيت المقدس الذي بإيلياء معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل عليه السلام ، ولهذا جمعوا له هناك كلهم فأمرهم في محلتهم ودارهم ، فدل على أنه الإمام الأعظم والرئيس المقدم»^(٣).

وقال أبو عبد الله المنهاجي : «يسر الله الأنبياء كلهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصلى بهم في بيت المقدس»^(٤).

مما سبق يتبين : أن أرض فلسطين مباركة لكثرة ما دفن فيها من الأنبياء والصالحين ، حتى أن بعضهم أوصى أن يدفن فيها ، وبعضهم طلب من الله أن يدفن في أرض قريبة منها . قال النووي : «وأما سؤاله - أي موسى عليه السلام - الادعاء من الأرض المقدسة فلشرفها ، وفضيلة من فيها من المدفونين ، من الأنبياء وغيرهم»^(٥).

٣ - أرض فلسطين أرض المحشر والمنشر .

روى الإمام أحمد بن حنبل - بسنده - عن ميمونة بنت سعد ، مولاة النبي صلى الله عليه وسلم قالت : يانبي الله ، أفتنا في بيت المقدس فقال : «أرض المحشر

(١) انظر : النووي : شرح صحيح مسلم - المطبعة المصرية بالقاهرة ١٢٨/١٥

(٢) مسند الامام أحمد ٢٥٧/١

(٣) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٢/٣

(٤) أبو عبد الله المنهاجي : تحاف الاخصاص ١٠٨/١

(٥) النووي : شرح مسلم ١٨/١٥ .

والمشعر^(١)

فبعد أن يخرج الناس من قبورهم يوم القيامة يساقون إلى بيت المقدس أرض الموقف، لينتظروا فصل القضاء بينهم، وفي الموقف يصيب الخلائق كرب شديد، فقد روى المقداد بن الأسود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاما، وأشار صلى الله عليه وسلم بيده إلى فيه»^(٢) وفي أثناء ذلك يكون أناس في ظل الله عز وجل كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم : «سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله : الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله : اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه»^(٣).

وبعد العرض على الموازين والحساب يتفرق الناس من بيت المقدس : إما إلى الجنة، وإما إلى النار. وذلك قوله تعالى : « وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفَخُونَ »^(٤).

قال أبو عبد الله المنهاجي : «وتوضع الموازين يوم القيامة ببيت المقدس وينفخ إسرافيل في الصور ببيت المقدس . . . ويتفرق الناس من بيت المقدس إلى الجنة والنار»^(٥).

وقال ابن الجوزي : قال كعب : «العرض والحساب ببيت المقدس»^(٦).

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ٤٦٣/٦، وابن ماجه في سننه كتاب الإقامة ٤٣٩/١ وهو حديث صحيح .

(٢) رواه مسلم في صحيحه، انظر مسلم بشرح النووي ١٩٦/١٧ .

(٣) رواه مسلم في صحيحه انظر مسلم بشرح النووي ١٢٠/٧ .

(٤) آية ١٤ من سورة الروم .

(٥) أبو عبد الله المنهاجي : تحاف الاخصا ١/ص ١٠٧ .

(٦) ابن الجوزي : فضائل القدس ص ١٣٧ .

ثانياً : آثار البركة المعنوية لأرض بيت المقدس وما حوله .

يترتب على كون أرض فلسطين مباركة عدة آثار منها : أنها عقر دار الإسلام في وقت اشتداد المحن والفتن ، والمقيم المحتسب في تلك الأرض كالمجاهد في سبيل الله والمرابط ، وأهلها منصورون بإذن الله ماداموا على الحق المبين ، ينتقم الله بهم من أعداء الدين .

١ - أرض فلسطين عقر دار الإسلام وقت اشتداد المحن والفتن .

تعتبر أرض فلسطين ملجأً للأنبياء والصالحين ، يهاجرون إليها ويحتمون بحماها عند اشتداد المحن والشدائد ، فقد هاجر إليها خليل الرحمن إبراهيم وابن أخيه لوط عليها السلام ، لعدم التمكن من إظهار الدين ونشره في أرض العراق . وخرج موسى عليه السلام تجاه بيت المقدس عندما اشتد به أذى فرعون وجنوده .

ويظل هذا الأثر ملازماً لهذه الأرض مادامت تتصف بالبركة الإلهية ، وهي لاتنقطع مادامت السموات والأرض . وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنين على ذلك في عدة أحاديث صحيحة . منها :

أ - روى الطبراني عن سلمة بن نفيل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «عَقْرُ دار الإسلام بالشام»^(١) فالشام وقت اشتداد الفتن هي المكان الآمن لأهل الاسلام .

ب - عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إني رأيت عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي ، فنظرت فإذا هو نور ساطع ، عمد به إلى الشام ، ألا إن الإيوان إذا وقعت الفتن بالشام»^(٢)

ج - وعن سالم بن عبدالله رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ستخرج نار في آخر الزمان من حضرموت تحشر الناس . قلنا : فبماذا تأمرنا

(١) حديث صحيح رواه الطبراني ورجاله ثقات (انظر الهيثمي : مجمع الزوائد ١٠/٦٠ .

(٢) حديث صحيح . أخرجه الحاكم وابو نعيم في الحلية وقال الحاكم «صحيح على شرط الشيخين» (انظر : الهيثمي :

مجمع الزوائد ١٠/٥٧ ، الربيعي : فضائل الشام ص ١٣

يارسول الله ؟ قال : «عليكم بالشام»^(١) .

٢ - المقيم المحتسب في أرض فلسطين كالمجاهد في سبيل الله والمرابط .

من آثار بركة أرض فلسطين : أن المقيم فيها يعتبر مجاهداً في سبيل الله ومرابطاً ، لأن هذه الأرض عرضة للغزو في كل وقت لمكانتها وشرفها ، فهي محل أطماع الغزاة والفاطحين ، ولذلك فهي تحتاج إلى أن يربط فيها المرابطون ، فيكونوا على أهبة الاستعداد لأي طارئ .

ولهذا كان قدر أهل الشام وفلسطين : أنهم مرابطون إلى يوم القيامة ، روى الطبراني عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أهل الشام وأزواجهم وذرياتهم وعبيدهم وإماؤهم إلى منتهى الجزيرة مرابطون في سبيل الله ، فمن أحتل منها مدينة من المدائن فهو في رباط ، ومن احتل منها ثغراً من الثغور فهو في جهاد»^(٢) .

وعن عبدالله بن حوالة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ستجندون أجناداً : جنداً بالشام وجنداً بالعراق وجنداً باليمن ، فقال الحواري : يارسول الله ، اختر لي ؟ قال : عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه . يجتبي إليها خيرته من عباده ، فمن أبى فليلحق بيمينه ، وليسق من عُذره»^(٣) فإن الله قد تكفل لي بالشام وأهله»^(٤) .
فقوله صلى الله عليه وسلم «عليك بالشام» أي الزم الإقامة في أرض الشام ، لكونها موسومة بالبركة ، ولأن الله قد تكفل لأهل الشام بالأجر والثوبة على صبرهم ورباطهم في سبيل الله .

(١) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٨/٢ ، ٥٣) ، والترمذي وابن حبان والطبراني وأبو يعلى . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦١/١٠) « رجاله رجال الصحيح » .

(٢) رواه الطبراني ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٠/١٠) : « فيه أرواه ابن المنذر وبقي رجاله ثقات » .

(٣) وليسق من عُذره : الغدر جميع غدير وهو الخوض والمعنى ان تتخذ كل جماعة من أهل الشام غديراً وتلتزم به ولا تزاحم الجماعة الأخرى على غديرها لئلا يكون ذلك سبيلاً إلى الاختلاف وتبحيح الفتن .

(٤) حديث صحيح رواه أحمد وأبو داود (انظر جامع الاصول ٣٥٠/٩ ، مجمع الزوائد ٥٨/١٠ ، فضائل الشام للربيعي ص ١١) .

ضرورة وجود نية الرباط عند المقيم في أرض الشام.

ولا يعتبر كل مقيم في أرض الشام عامة وفلسطين خاصة مرابطاً في سبيل الله، إلا إذا كان محتسباً وناوياً للرباط أو الجهاد في سبيل الله تعالى، إذا كان من أهل النية والاختيار، لقوله صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ماهاجر إليه»^(١). وقال ابن قدامة: «إن الرباط يقل ويكثر فكل مدة أقامها بنية الرباط فهو رباط، قل أو كثر، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «رباط يوم» و«رباط ليلة» وقال أحمد: يوم رباط، وليلة رباط، وساعة رباط»^(٢).

فضل الرباط في سبيل الله تعالى.

بين النبي صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث صحيحة فضل الرباط في سبيل الله تعالى، فالذي يقيم في ثغر من ثغور الإسلام بنية حفظ ذلك الثغر، ودفع العدو، له ثواب عظيم، يفوق ثواب الصائم القائم، وإذا توفى أجير من فتنة القبر، ويرزق كما يرزق الشهداء الذين تكون أرواحهم في حواصل الطير، تأكل من ثمر الجنة. ومن الأحاديث التي روت في فضل الرباط:

١ - عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله تعالى أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها»^(٣).

٢ - وعن سلمان رضى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر ووقاية، وإن مات فيه أجرى عليه عمله»

(١) رواه البخاري في صحيحه ٢/١.

(٢) ابن قدامة: المغنى ٣٥٤/٨.

(٣) رواه البخاري في صحيحه ٢٢٤/٣.

الذي كان يعمل، وأُجرى عليه رزقه، وأمن الفتان»^(١).
 ٣ - وعن فضالة بن عبيد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
 «كل ميت يُختم على عمله، إلا المرباط في سبيل الله، فإنه يُنمى له عمله إلى يوم
 القيامة، ويؤمن فتنة القبر»^(٢)
 فقوله صلى الله عليه وسلم «أُجرى عليه عمله»، و«نُمى له عمله» يدل على
 أن العمل الذي مات عليه وهو الرباط في سبيل الله يقع أجره على الله، ولا ينقطع
 ثوابه إلى يوم القيامة، وهذا لا يتعارض مع قوله صلى الله عليه وسلم «إذا مات العبد
 انقطع عمله إلا من ثلاث» لأنه لا مفهوم للعدد في الثلاث، أو لأن هذا العمل يرجع
 إلى إحدى الثلاث هنا وهو صدقة جارية.^(٣)

٣ - أهل الشام هم الطائفة المنصورة التي يتتقم الله بها من أعدائه.

روى البخاري عن معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه قال - وهو يخطب : -
 سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «لاتزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله
 لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك»^(٤).
 وفي رواية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من يرد الله به خيرا
 يفقهه في الدين، ولاتزال عصاة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على ما ناوهم
 - أي ناهضهم وعاداهم - إلى يوم القيامة»^(٥).
 اختلف العلماء في بيان المراد بالطائفة أو الأمة المنصورة، فقال البخاري : هم
 أهل العلم، وقيل : هم أهل الحديث. وقال البيضاوي : هم المجتهدون في الأحكام
 الشرعية والعقائد الدينية، أو المرباطون في الثغور، والمجاهدون لإعلاء الدين.^(٦)

(١) رواه مسلم في صحيحه ١٥٢٠/٣، وأحمد في مسنده ٢٠٤/٢.

(٢) رواه الترمذي في سننه (١٦٥/٤) وقال حسن صحيح.

(٣) انظر : النووي : شرح صحيح مسلم ٦٠/١٣، المناوي : فيض القدير ٣٤/٥، السرخسي : شرح السير الكبير ٩/١.

(٤) شرح العيني على البخاري ٤٨/٢٥، جامع الاصول لابن الاثير ٣٥١/٩.

(٥) المرجع السابق، صحيح مسلم ١٥٢٤/٣.

(٦) شرح العيني على البخاري ٤٨/٢٥، المناوي : فيض القدير ٣٩٦/٦.

وقال ابن يخامر : سمعت معاذاً يقول : هم أهل الشام ، أو بالشام .^(١)
ويؤيد ماذهب اليه معاذ بن جبل رضى الله عنه عدة أحاديث منها :

أ - ما روى الترمذي عن معاوية بن قرة ، عن أبيه رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم ، ولا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك» وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : قلت يا رسول الله ، أين تأمرني ؟ قال : هاهنا ونحا بيده نحو الشام^(٢) .

ب - وما روى الامام أحمد عن أبي أمامة مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لعدوهم قاهرين ، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك ، قيل : يا رسول الله أين هم ؟ قال : بيت المقدس وأكناف بيت المقدس»^(٣) .

ج - ما روى أبو يعلى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حوله ، وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله ، لا يضرهم خذلان من خذلهم ، ظاهرين على الحق ، إلى أن تقوم الساعة»^(٤) .

د - روى الطبراني عن خريم بن فاتك الأسدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «أهل الشام سوط الله في أرضه ينتقم بهم ، ممن يشاء من عباده ، وحرام على منافقيهم أن يظهروا على مؤمنهم . ولا يموتوا إلا همأً وغماً»^(٥) .

هـ - وروى الامام مسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة»^(٦) .

(١) ابن الاثير : جامع الاصول ٣٥١/٩ .

(٢) سنن الترمذي ٤٨٥/٤ وقال : حديث حسن صحيح ، ابن الاثير : جامع الاصول ٣٥١/٩ .

(٣) رواه الامام أحمد في مسنده ٢٦٩/٥ .

(٤) الهيثمي : مجمع الزوائد ٦٠/١٠ وقال : «رجاله ثقات» .

(٥) الهيثمي : مجمع الزوائد (٦٠/١٠ - ٦١) وقال رجاله ثقات .

(٦) رواه مسلم في صحيحه ١٥٢٥/٣ .

قال الامام أحمد : هم أهل الشام .^(١) وقال ابن تيمية مؤيدا الامام أحمد : وهو كما قال لوجهين :

أحدهما : أن في سائر الحديث بيان أنهم أهل الشام .

والثاني : أن لغة النبي صلى الله عليه وسلم في أهل الغرب هم أهل الشام ومن يغرب عنهم ، كما أن لغتهم في أهل المشرق هم أهل نجد والعراق ، فإن المغرب والمشرق من الأمور النسبية فكل بلد له غرب قد يكون شرقا لغيره ، وله شرق قد يكون غربا لغيره ، فالاعتبار في كلام النبي صلى الله عليه وسلم لما كان غربا وشرقا له ، حيث تكلم بهذا الحديث وهي : المدينة .

ومن علم حساب الأرض بطولها وعرضها علم أن حران والرقعة وسميساط^(٢) على سمت مكة ، وأن الفرات وما على جانبها من البيرة^(٣) بينهما في الطول درجتين اثنتين فما كان غربي الفرات فهو غربي المدينة وما كان شرقها فهو شرق المدينة .

فأخبر أن أهل الغرب لا يزالون ظاهرين ، وأما أهل الشرق فقد يظهرون تارة ويغلبون أخرى ، وهكذا هو الواقع ، فإن الجيش الشامي مازال منصوراً^(٤) .

وقد ظهر مصداق هذه النصوص على أكمل الوجوه في جهاد أهل الشام للصليبيين والتتار ، فأيد الله المسلمين ونصرهم على أعدائهم أعداء الدين ، عندما نصروا الله ، ونبذوا ما بينهم من خلافات ، والتزموا بهدى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

(١) ابن قدامة : المغنى ٨/ ٣٥٥ .

(٢) سميساط : مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم (معجم البلدان) .

(٣) البيرة : بلد فيه قلعة قرب سميساط .

(٤) ابن تيمية : مناقب الشام وأهله مع فضائل الشام للربيعي - المكتب الاسلامي ص ٧٦ - ٧٧ .

المبحث الثاني

قدسية أرض بيت المقدس وما حوله

لقد نص الله تعالى على قدسية هذه الأرض في كتابه الكريم ، فقال على لسان موسى عليه السلام : «يَقُومُوا أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ»^(١) .
معنى القدسية

المقدسة في الآية بمعنى المطهرة ، وقيل بمعنى المباركة ، والمعنى الأول أصح ، لأن أصل التقديس التطهير ، فالقدس بمعنى الطهر ، ويقال للسطل الذي يتطهر به قَدَس ، وقال تعالى «ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك» أي نطهر أنفسنا لك ومن هذا : بيت المقدس ، كما قال الزجاج والجوهري^(٢) .

وقال الأصفهاني : «التقديس التطهير الإلهي المذكور في قوله تعالى : «ويطهركم تطهيراً» دون التطهير الذي هو إزالة النجاسة المحسوسة ، والبيت المقدس : هو المطهر من النجاسة أي الشرك ، وكذلك الأرض المقدسة ،^(٣) فالقدسية بمعنى الطهارة من الشرك والظلمة والعدوان والعلو في الأرض .

* أولاً : منشأ قدسية أرض بيت المقدس وما حوله .

ترجع قدسية أرض فلسطين إلى كونها أرض المسجد الأقصى والصخرة المشرفة ، وهما موجودان قبل بعثة سيدنا موسى وعيسى عليهما السلام ، أي قبل بناء هيكل يهود ، وكنيسة المهدي الموجودة في بيت لحم ، وكنيسة النصارى الموجودة في القدس والمعروفة : بكنيسة القيامة ، والتي كانت تعرف : بكنيسة القيامة نسبة إلى المكان الذي كانت اليهود صلبوا فيه المصلوب ، وجعلوا يلقيون على قبره القيامة^(٤) .

(١) آية ٢١ من سورة المائدة .

(٢) النووي : تهذيب الأسماء واللغات - دار الكتب العلمية بيروت ١٠٩/٤ .

(٣) الاصفهاني : المفردات في غريب القرآن - مكتبة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة ص ٣٩٧ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ١٠١/٢ ، ٥٦/٧ .

١ - أرض فلسطين أرض المسجد الأقصى :

يعتبر بيت المقدس ثاني مساجد الدنيا وجوداً بعد المسجد الحرام لما روى البخاري في صحيحه عن أبي ذر رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله ، أي مسجد وضع في الأرض أول ؟ قال المسجد الحرام ، قال : قلت : ثم أي ؟ قال : المسجد الأقصى . قلت : كم كان بينها ؟ قال أربعون سنة^(١) .

فإن قيل : الثابت أن الذي بنى المسجد الأقصى هو سليمان عليه السلام وبينه وبين إبراهيم عليه السلام أكثر من ألف سنة ، لما روى النسائي ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله أن سليمان عليه السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله خلافاً ثلاثاً فأعطاه اثنتين ، وأرجو أن يكون أعطاه الثالثة . سألته مُلكاً لا ينبغي لأحد بعده ، فأعطاه إياه ، وسألته حكماً يواطىء حكمه ، فأعطاه إياه . وسألته من أتى هذا البيت لا يريد إلا الصلاة فيه أن يخرج من الذنوب كيوم ولدته أمه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا أرجو أن يكون قد أعطاه الثالثة^(٢) .

وقد أجيب على ذلك الاشكال بأن بيت المقدس أسس قبل أن يبنيه سليمان عليه السلام ، وما كان بناء سليمان للمسجد الأقصى إلا تجديداً له كما فعل إبراهيم عليه السلام في المسجد الحرام .

قال القرطبي : «إن الآية - أي قوله تعالى : «وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ»^(٣) والحديث لا يدلان على أن إبراهيم وسليمان عليهما السلام ابتدآ وضعهما بل كان تجديدًا لما أسس غيرهما»^(٤) .

واختلف في أول من أسس بيت المقدس ، فروي : أن أول من بنى البيت - يعني المسجد الحرام - آدم عليه السلام ، فيجوز أن يكون ولده وضع بيت المقدس من بعده بأربعين عاماً^(٥) .

(١) الحديث متفق عليه . انظر صحيح البخاري ١١٧/٤ ، جامع الاصول لابن الاثير ٢٧٥/٩ .

(٢) الحديث أخرجه أيضا ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم في مستدركه . وقال صحيح على شرط الشيخين .

(٣) آية ١٢٧ من سورة البقرة .

(٤) انظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ١٣٨/٤ ، العيني : عمدة القاري ٣٦٢/١٥ .

(٥) القرطبي : المرجع السابق .

ويحتمل أن تكون الملائكة قد بنت بيت المقدس بعد بنائها البيت الحرام باذن الله، ويؤيد ذلك ما روي عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال : «أمر الله تعالى ببناء بيت في الأرض، وأن يطوفوا به، وكان هذا قبل خلق آدم، ثم إن آدم بنى منه ما بنى، وطاف به، ثم الأنبياء بعده، ثم استتم بناء إبراهيم عليه السلام»^(١). والاحتمالان واردان والله أعلم.

أسماء بيت المقدس

ويرجع سبب تسمية بيت المقدس إلى : أنه المكان الذي يتطهر فيه أولياء الله من الذنوب والمعاصي، أو إلى أنه المكان الخالي من الشرك والأصنام، ولذلك كانت الملائكة تؤمه وتطوف به، وكان الأنبياء عليهم السلام يعبدون الله فيه، ويقربون القرابين فيه.

ذكر ابن الأثير في الكامل : « أنه أصاب الناس في زمان داود طاعون جارف، فخرج بهم إلى موضع بيت المقدس، وكان يرى الملائكة تعرج منه إلى السماء، فلهذا قصده ليدعو فيه، فلما وقف موضع الصخرة دعا الله تعالى في كشف الطاعون عنهم، فاستجاب له ورفع الطاعون، فاتخذوا ذلك الموضع مسجداً، وكان الشروع في بنائه لإحدى عشرة سنة مضت من ملكه، وتوفي قبل أن يستتم بناءه، وأوصى إلى سليمان بإتمامه»^(٢).

وقد أطلق على بيت المقدس أكثر من عشرين اسماً، وكثرة الأسماء إن دلت على شيء فهي تدل على شرف هذا المكان وقداسته، ومن هذه الأسماء.

المسجد الأقصى : وسمى بذلك لبعده المسافة بينه وبين المسجد الحرام، فهي تبلغ حوالي مسيرة شهر أو لكونه لامسجد وراءه.

وبيت المقدس، ومسجد إيلياء، وسلم، لكثرة سلام الملائكة فيه، وأورشليم، أي دار السلام، وأورشليم، وبيت إيل وصهيون، ومصروت، وبابوش، وصلمون،

(١) القرطبي : المرجع السابق.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١٢٧/١.

وكوسيللا والقرية.^(١)

٢ - أرض فلسطين أرض الصخرة المشرفة.

تعتبر الصخرة المشرفة في بيت المقدس كالحجر الأسود في البيت الحرام ، فهي مقدسة ومشرفة ، ومصدر قدسيته أن الملائكة يصعدون منها إلى السماء ، وهي المكان الذي صعد منه النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة الإسراء والمعراج إلى السماوات العلى ، وهي المكان الذي يُنادى منه الناس يوم القيامة ، لقربها من السماء ، ويؤيد ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى : «وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مَنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ»^(٢) حيث قال المفسرون : المنادي إسماعيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادي يا أيها الناس : هلموا إلى الحساب ، إن الله يأمركم أن تجتمعوا لفصل القضاء ، وهذه هي النفخة الأخيرة.^(٣)

قال قتادة : قال كعب الأحبار : يأمر الله تعالى ملكاً أن ينادي على صخرة بيت المقدس : أيتها العظام البالية ، والأوصال المتقطعة ، إن الله تعالى يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء.^(٤)

وروى عن ابن عباس ومكحول وكعب وأنس بن مالك : أن صخرة بيت المقدس من صخور الجنة.^(٥)

وقد بحثت عن هذا الأثر في كتب الحديث المتوفرة لدى فلم أعثر عليه .

(١) انظر : الزركش : أعلام الساجد بأحكام المساجد - دار التحرير للطباعة بالقاهرة ١٣٨٤هـ - ٢٧٧ ، الجراعي : تحفة الراعي والساجد في أحكام المساجد . المكتب الاسلامي ط ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ص ١٨٤ ، النهاجي : تحاف الاخصا ٩٣/١ .

(٢) آية ٤١ من سورة ق .

(٣) انظر : ابن الجوزي : زاد المسير ٢٤/٨ ، القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٢٧/١٧ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٢٣٠/٤ .

(٤) ابن كثير : المرجع السابق .

(٥) ابن الجوزي : فضائل القدس . ص ١٣٩ .

ثانيا : أثر قدسية أرض بيت المقدس وما حوله .

لقد ترتب على كون أرض بيت المقدس مقدسة طاهرة : أنها لا تقبل شركاً ولا عدواناً ولا ظلماً، ولا علواً في الأرض، ولا يدخلها الدجال في آخر الزمان .

١ - أرض بيت المقدس لا تقبل شركاً ولا ظلماً ولا عدواناً .

كان من أثر قدسية هذه الأرض خلو بيتها المشرف من الأصنام والأوثان في غالبية العصور والدهور، وهي لا تتحمل الظلم والعدوان ، ولم تمكن للأمم العاتية من العيش فيها، ولا الاستقرار عليها، ويقصر عمر الدول الظالمة فيها، وتنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد، ومن الأدلة على ذلك :

أ - قوله تعالى على لسان موسى ؛ «يَقُومُ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١١﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿١٢﴾» .

لقد رفضت تلك الأرض المقدسة دخول بني إسرائيل إليها، لما كان عليه معظم جنود موسى عليه السلام من شرك في العقيدة، وفساد في الفطرة، وخبث في الطوية .

فقد توجهوا لفتح بيت المقدس بعد أن صنعوا عجلًا من حلي نسائهم، ليعبدوه . قال تعالى في بيان فساد عقيدتهم : «وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمُ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ» (١٢) ، كما توجهوا لفتح تلك المدينة بعد أن فسدت طبائعهم، نتيجة ظلم الفراعنة لهم ، حتى غدت فطرتهم مطبوعة بطابع المهانة والذل والعبودية للبشر، ويدل على فساد طبيعتهم قولهم لنبي الله موسى عليه السلام : «إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا، فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ» . وكانت نتيجة هذا

(١) الآيتان ٢١، ٢٢ من سورة المائدة .

(٢) الآية ١٤٨ من سورة الاعراف .

الانحراف في العقيدة والفساد في الفطرة : أن ارتدوا على أدبارهم ، فانقلبوا خاسرين أذلاء في الدنيا ، كما باعوا بغضب الله تعالى في الآخرة .
 «إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتِرِينَ»^(١) .

جاء في تفسير المنار : «المعروف : أن الشعوب التي تنشأ في مهد الاستبداد وتساس بالظلم والاضطهاد - تفسد أخلاقها ، وتذل نفوسها ، ويذهب بأسها وتضرب عليها الذلة والمسكنة ، وتألف الخضوع ، وتأنس المهانة ، وإذا طال عليها أمد الظلم تصير هذه الأخلاق موروثة ومكتسبة ، حتى تكون كالفرائض الفطرية ، والطبائع الخلقية ، إذا أخرجت صاحبها من بيئتها ورفعت عن رقبته نيرها ، ألفيته ينزع بطبعه إليها ، ويتفلت منك ليتقحم فيها ، وهذا شأن البشر في كل ما يألفونه ، ويجرون عليه من خير وشر ، وإيمان وكفر ، وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً لهدايته وضلال الراسخين في الكفر من أمة الدعوة فقال : «مثلي ومثلكم كمثلي رجل استوقد ناراً ، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها ، ويجعل يحجزهن ، ويغلبنه فيتقحمن فيها . فأنا آخذ بحجزكم عن النار ، وأنتم تقحمون فيها» رواه الشيخان^(٢) .

ب - قوله تعالى : « وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۖ ﴿١﴾ فَلَمَّا جَاءَ وَعَدُ أُولَٰئِهِمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۖ ﴿٢﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۚ ﴿٣﴾ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَلَمَّا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةِ لِيَسْئَعُوا جُجُوهَكُمْ وَلِيَبَدَّ خُلُوفُ الْمُسْجِدِ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ۖ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُمْ عَلَيْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ۖ ﴿٥﴾ »^(٣)

(١) الآية ١٥٢ من سورة الاعراف .

(٢) محمد رشيد رضا : تفسير المنار - دار المعرفة ببيروت ٣٣٧/٦ .

(٣) الآيات من ٨-٤ من سورة الاسراء .

فقد أخبر الله تعالى عن بني إسرائيل : أنهم لما طغوا وبغوا سلط الله عليهم عدوهم ، فاستباح بيضتهم وسلك خلال بيوتهم ، وأذلمهم وقهرهم جزاء وفاقاً ، وما ربك بظلام للعبيد فإنهم كانوا قد تمردوا وقتلوا خلقاً من الأنبياء والعلماء .

قال ابن الاثير : «إنما السبب الكلي الذي أحدث هذه الأسباب الموجبة للانتقام من بني إسرائيل هو : معصية الله تعالى ، ومخالفة أوامره ، وكانت سنة الله تعالى في بني إسرائيل : أنه إذا ملَّك عليهم ملكاً أرسل معه نبياً يرشده ويهديه إلى أحكام التوراة ، فلما كان قبل مسير بختنصر إليهم كثرت فيهم الأحداث والمعاصي ، وكان الملك فيهم «يقونيا بن يويا قيم» فبعث الله إليه «أرميا» فأقام فيهم يدعوهم إلى الله وينهاهم عن المعاصي ، ويذكرهم نعمة الله عليهم بإهلاك «سنحاريب» فلم يرفعوا . فأمره الله أن يحذرهم عقوبته ، وإنهم إن لم يراجعوا الطاعة سلط عليهم من يقتلهم ، ويسبى ذراريهم ، ويخرب مدينتهم ، ويستعبدهم ، ويأتيهم بجنود ينزع من قلوبهم الرأفة والرحمة ، فلم يراجعوها ، فأرسل الله إليه لأقيضن لهم فتنة تذر الحليم حيران ، ويضل فيها رأي ذي الرأي ، وحكمة الحكيم ، ولأسلطن عليهم جباراً قاسياً عاتياً ألبسه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة ، يتبعه عدد مثل سواد الليل ، وعساكر مثل قطع السحاب ، يهلك بني إسرائيل ، وينتقم منهم ، ويخرب بيت المقدس»^(١)

هذه هي الوقعة الأولى ، وأما الوقعة الثانية التي حدثت لبني إسرائيل فقد كانت بعد مقتل «بختنصر» وعودة بني إسرائيل إلى مدينة بيت المقدس ، وبمجرد أن كثر عددهم واستقر لهم الوضع عادوا إلى المعاصي والعلو في الأرض ، فقتلوا يحيى وزكريا عليهما السلام ، فسلط الله عليهم ملكاً من ملوك بابل يقال له «خردوس» فاستباح بيضتهم واعمل فيهم القتل ، وسبى ذراريهم ونساءهم ، وخرب بلادهم .^(٢) ولم يقف الأمر عند هاتين الوقعتين ، بل تعرض اليهود لعدة غزوات من الفرس والروم ، وفي كل مرة يتشتت شملهم ، وتتمزق وحدتهم ، وتزول دولتهم ، وذلك بسبب عودتهم إلى الفساد والعلو في الأرض «وإن عُدْتُمْ عُدْنَا» .

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ١٤٨/١

(٢) انظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٢٢١/١٠ .

جـ - وقد سجل التاريخ الهزائم والنكبات التي حلت بالدول التي تعاقبت على الأرض المقدسة عند تماديها في الظلم والعدوان ، فقد تعرض الفرس الذين حكموا فلسطين في القرن الأول قبل الميلاد إلى أشنع هزيمة على يد الرومان . وقد كانت هذه الحقيقة واضحة جلية . لدى رجال الدين النصراني الذين خلفوا الفرس ، واتخذوها مادة لهم لتذكير الناس بها كلما تعرضت تلك المدينة إلى إعتداء خارجي ، أو حاد أهلها عن المنهج الصحيح . فحينما وصل كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى «هرقل» وهو في القدس وعظ النصراني فيما كان قد بالغوا في إلقاء القمامة على الصخرة حتى وصلت إلى محراب داود ، وقال لهم : «إنكم لخليق أن تقتلوا على هذه الكناسة مما امتهنتم هذا المسجد كما قتلت بنو اسرائيل على دم يحيى بن زكريا»^(١) ولما حاصر أبو عبيدة بيت المقدس وشدد في الحصار خرج إليه بطريك بيت المقدس «صفرونيوس» فقال : «ماذا تريدون منا في هذه البلدة المقدسة ومن قصدها يوشك أن الله يغضب عليه ويهلكه»^(٢) ، ولما سلم بيت المقدس إلى عمر بن الخطاب بكى ، فقال له عمر رضى الله عنه : « لا تحزن هون عليك ، فالدنيا دواليك ، يوم لك ، ويوم عليك ، فقال : «صفرونيوس» : «أظننتني على ضياع الملك بكيه ؟ ! والله مالهذا بكيه وإنما بكيه لما أيقنت أن دولتكم على الدهر باقية . ترق ولا تنقطع ، فدولة الظلم ساعة ، ودولة العدل إلى قيام الساعة ، وكنت حسبته دولة فاتحين تمر ثم تنقرض مع السنين»^(٣) وقال كعب الأحبار لعمر رضى الله عنه : «ياأمير المؤمنين إنه قد تنبأ على ما صنعت اليوم - فتح بيت المقدس - نبي منذ خمسمائة سنة . فقال : وكيف ؟ فقال : إن الروم أغاروا على بني إسرائيل فأديلوهم فدفنوه ثم أديلوهم فلم يفرغوا له حتى أغارت عليهم فارس فبغوا على بني إسرائيل ، ثم أديلت الروم عليهم إلى أن وليت»^(٤) .

لقد أصبحت هذه الحقيقة سنة ماضية في الأمم والدول إلى يوم القيامة ، فكل دولة تبغى وتفسد في الأرض عامة والمقدسة خاصة مصيرها إلى زوال - بإذن الله تعالى

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ٥٦/٧

(٢) الواقدي : فتوح الشام .

(٣) عبد الله التل : خطر اليهودية على الاسلام والمسيحية ص ١٢٩

(٤) الطبري : تاريخ الامم والملوك ١٦١/٤ .

- «وان عدتم عدنا» فلما تفرق المسلمون ، وانقسموا إلى دولتين : عباسية في بغداد، وفاطمية في القاهرة في القرن الخامس الهجري ، وأصبحت كل دولة تعمل من أجل توسيع مساحة زعامتها في المنطقة الإسلامية حتى انعكس هذا الصراع على بقية الأقاليم الإسلامية وبخاصة بلاد الشام، سلط الله عليهم الصليبيين الذين اندفعوا كال موج المتلاطم إلى العالم الإسلامي فهزموا المسلمين، ونكلوا بهم، وأنشأوا إمارات صليبية في قلب العالم الإسلامي .

إن السبب الأكبر لنجاح الصليبيين لم يرجع فحسب إلى كثرة عددهم ، وإلى ما تلقوه من مساعدات من الدولة البيزنطية ، بل يرجع أساسا إلى تفرق المسلمين وتفككهم من الناحيتين الدينية والسياسية، ففي الوقت الذي كانت فيه القوات الصليبية تشق طريقها نحو الشرق العربي الاسلامي اشتد النزاع بين الخلافتين، وذلك النزاع الذي يعود إلى الخلاف المذهبي - أي سني وشيعي - ولقد كان هذا الحال معروفا جيدا من قبل الصليبيين، ولذلك كان توقيت الحملة الصليبية الأولى في ظروف سادها التفكك الإسلامي السياسي والديني^(١) .

لقد أدت هذه الخلافات بين المسلمين إلى ضعف مواجهة التحديات الصليبية، فكان هناك أمير محارب، وأمير يسالم، وأمير يهادن وآخر يسلم، وآخر يستغل الأوضاع التي يعاني منها أخوه، ليهاجم أرضه ويتوسع على حسابه^(٢) . ولما طغى الصليبيون وبغوا في الأرض سلط الله عليهم القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي، فاستباح بيضتهم، ودمر إماراتهم، وحرر المسجد الأقصى من قبضتهم .

ومن المعلوم أن هذا الانتصار الباهر لم يتحقق إلا بعد أن قام صلاح الدين بجهد مضنٍ، وعمل متواصل في سبيل توحيد الصف الإسلامي ، وتطهير تصورات المسلمين ومعتقداتهم مما علق بها من مفاهيم خاطئة، وشعارات زائفة، وقناعات منحرفة .

وهكذا دواليك فإن الله لا ينصر الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة ، ويسلط عليها

(١) آرنست باركر - الحروب الصليبية ص ٣٢ - ٣٣ .

(٢) كمال الاسطيل : مستقبل اسرائيل بين الاستئصال والتذويب - دار الموقف العربي - القاهرة - ص ١٣١ .

الظالمين، إلى أن ترجع عن غيها وظلمها، قال تعالى : « وَكَذَلِكَ نُوَلِّيْ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ »^(١) أي نسلط بعضهم على بعض كما قال ابن زيد.^(٢)

وقد عاد اليهود في هذا العصر إلى فلسطين أرض بيت المقدس، وأقاموا عليها دولتهم، وأسسوا فيها حضارتهم، واتخذوها مركزا لتجميع بني جنسهم، ووكرا لتدبير دسائسهم ومؤامراتهم ضد الانسانية عامة والمسلمين خاصة، كما اتخذوها منطلقا لاعتداءاتهم الغاشمة على كل من يعارض سياستهم العدوانية، أو يقف في طريق مخططاتهم التدميرية، فقتلوا النفوس البريئة ويتموا الأطفال، وسجنوا النساء، وهدموا البيوت، واغتصبوا الأرضين وأحرقوا المسجد الأقصى، ودنسوا المسجد الإبراهيمي في الخليل، وحولوا المساجد إلى حانات للخمر، ونواد ليلية تمارس فيها الفاحشة بجميع صورها وأشكالها، وعمدوا إلى إزالة الآثار الاسلامية التي تزين بها مدينة القدس، كالمدارس التاريخية، والزوايا والتكايا والأحياء الإسلامية القديمة كحي المغاربة، والمقابر الإسلامية التي تضم أجساد الصحابة والتابعين والعلماء والصالحين، وهم ماضون في مخطط هدم المسجد الأقصى وإزالته من أرض القدس، ويؤيد ذلك تلك المحاولات الصهيونية لتدمير المسجد الأقصى وهي :

- في يوم الخميس ١٩٦٩/٨/٢١ كانت المحاولة الأولى لتدمير المسجد الأقصى، فقد قام شاب - زعموا أنه مسيحي أسترالي مجنون - بإضرام النار في المسجد الأقصى المبارك، فاشتعلت فيه النيران وارتفعت أعمدة الدخان إلى مئات الأقدام، وقد أسفرت هذه الجريمة عن إحراق منبر صلاح الدين بأكمله، وهو المنبر الذي صنع في حلب أيام نور الدين محمود، ليقدمه هدية إلى المسجد الأقصى الذي كان الصليبيون قد حولوه إلى كنيسة، وكذلك إحراق السطح الشرقي الجنوبي للمسجد . . وقد اكتفت سلطات الاحتلال باعتقال المجرم «دينيس روهان» ومحاكمته حيث ادعت بأنه مجنون، وأطلقت سراحه، فسافر إلى الخارج، ثم عاد بعدها للاستقرار في فلسطين المحتلة.

(١) آية ١٢٩ من سورة الانعام

(٢) ابن الجوزي : زاد المسير ٣/ ١٢٤

- ومن الأدلة على تواطؤ سلطات الاحتلال لحرق المسجد الأقصى أيضا : قطع المياه عن الحرم فور ظهور الحريق ، وتقارير المهندسين أكدت أن الحريق نشب في أكثر من موضع ، وأن شخصا واحدا لم يكن قادرا على القيام بهذا العمل بمفرده ، وعدم السماح لسيارات الإطفاء من بلدية القدس ، وقد بقى الحريق مشتعلا إلى أن جاءت سيارات الإطفاء من رام الله والخليل .^(١)

- وفي مايو - أيار - ١٩٨٠ قام «كاھانا» بمحاولة تفجير المسجد الأقصى بحجة الرد على عملية «الدبوة» التي نفذها رجال المقاومة في الخليل ، وقد عثرت قوات الأمن صدفة على مخزن كبير للمتفجرات على سطح إحدى المدارس الدينية اليهودية في ١١/٥/١٩٨٠م واعتقل الحاخام «كاھانا» وعدد من أتباعه بتهمة سرقة أسلحة من مستودعات الجيش والإعداد لنسف أماكن مقدسة إسلامية .

- وفي ٨ إبريل - نيسان - ١٩٨٢م وضع اليهود قبلة موقوتة عند بوابة الأقصى وإلى جانبها رسائل تهديد إلى مدير الأوقاف الإسلامية في القدس تحمل توقيع لجنة «أمناء جبل البيت» . وحركة «كاخ» التي يتزعمها الحاخام «كاھانا» إضافة إلى توقيع مايسمى بروابط القرى العميلة لليهود . وتطالب التهديدات بالتوقف فوراً عن منع اليهود من الدخول إلى الأقصى للصلاة فيه ، وفي حالة عدم الإذعان فإن النتيجة ستكون قاسية : وهي تفجير أقصاكم تفجيرا كاملا ، والصخرة والساحات المجاورة وفي أوقات الصلاة ، لقتل أكبر عدد منكم .

- وفي ١٠ إبريل - نيسان ١٩٨٢ حاولت مجموعة من أتباع «كاھانا» ولجنة أمناء جبل البيت الدخول إلى الأقصى فتصدى لهم المسلمون ، وفي هذه الأثناء قام جندي إسرائيلي يدعى «إيلين جوتمان» باقتحام الحرم وهو يطلق النار مما أدى إلى قتل اثنين من حراس المسجد ، وفي الوقت نفسه كان عدد كبير من الجنود الاسرائيليين يقتحمون ساحات الأقصى ويطلقون النار على المسلمين مما أدى إلى إصابة (١٢٠) مسلم بجروح ، هذا ، بالإضافة إلى الأضرار المادية التي تعرض لها الأقصى .

(١) بتصرف من مقال مؤامرة على الأقصى للشيخ سعد الدين العلمي مفتى القدس - مجلة الامة القطرية عدد ٥٥ سنة ١٤٠٥ / ١٩٨٥ ص ٥٥ .

- وفي ليلة ٢١ مارس - آذار ١٩٨٣ جرت محاولة يهودية عبر النفق السري الذي كشفت عنه الحفريات الجنوبية للوصول إلى ساحات المسجد الأقصى ، لاقامة نواة استيطانية ومركز يهودي مسلح داخل الحرم القدسي .

- وفي ليلة ٢٧ يناير - كانون الثاني - ١٩٨٤م قامت مجموعة مسلحة - يهودية ، لاقتحام الحرم من الناحية الشرقية بالقرب من باب الرحمة ، إلا أن حراس المسجد إكتشفوا أمرهم قبل أن يتمكنوا من الصعود ، ففروا تاركين وراءهم قنابل ومتفجرات وأمتعة .^(١)

هذه المحاولات لم تكن مجرد أعمال فردية ولا رغبات ذاتية ، وإنما هي أعمال منظمة تشرف عليها الدولة إشرافاً كاملاً ، وتوجهها توجيهها تاماً عبر رؤساء الأحزاب اليهودية التي يجمعها هدف واحد ، وهو العمل على تحقيق الأهداف الصهيونية في المنطقة ، ففي مايو - أيار - سنة ١٩٧٧م وعد «بيغن» رئيس وزراء دولة العدو سابقاً المتدينين بأن يحقق لهم إقامة الهيكل الثالث فقال : «إن الحكومة الاسرائيلية تختبئ وراء الحركات الدينية المتطرفة لتحقيق هدفها في نسف قبة الصخرة والمسجد الأقصى ، وبناء الهيكل الثالث على أنقاضهما ، وأن العمليات التي تجري بهذا الخصوص يجري ترتيبها بمعرفة الحكومة ، من أجل إنضاج هذا المخطط»^(٢) .

ولم تكن هذه التصريحات الصادرة عن «بيغن» مجرد برنامج خاص بحكومته ، وإنما هي إستراتيجية عامة يتناقلها جيل عن جيل ، ويصرح بها غالبية زعماء يهود ، ومن تصريحاتهم في ذلك .

جاء في مذكرات هرتزل «عندما أتذكرك في الأيام المقبلة ياأورشليم لن يكون ذلك بسرور ، إن الرواسب العفنة لألفي سنة من اللاإنسانية وعدم التسامح والقذارة تقبع في الأزقة ذات الرائحة الكريهة ، فإذا حصلنا يوماً على القدس وكنت لأزال قادراً على القيام بأي شيء بنشاط في الوقت الذي نحصل فيه عليها - فإن أول ما سوف أبدأ به تنظيفها تنظيفاً كاملاً» .

«سوف أزيل كل شيء ليس مقدساً ، وأنقل بيوت العمال إلى خارج المدينة وأخلي

(١) المرجع السابق .

(٢) نفسه

أوكار الدعارة، وأهدمها، وأحرق الآثار التي مرت عليها قرون، وأنقل الأسواق إلى مكان آخر»^(١)

جاء في دائرة المعارف اليهودية المطبوعة باللغة الانجليزية تحت كلمة الصهيونية: «إن اليهود يبعثون أن يجمعوا أمرهم ويأتوا إلى القدس، ويتغلبوا على قوة الأعداء ويعيدوا العبادة إلى الهيكل مكان المسجد الأقصى، وقيموا ملكهم هناك»^(٢).

ولم تكذ الصهيونية العالمية تحصل على وعد بلفور في نوفمبر سنة ١٩١٧ بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين حتى تقدم رئيس الحاخامات اليهودي ومعه ممثل الحركة الصهيونية فيها بطلب رسمي إلى حكومة الانتداب البريطاني، للاستيلاء على منطقة المسجد الأقصى لهدمه وبناء معبد سليمان مكانه.^(٣)

وفي عام ١٩٢٩م قال «كلونز» رئيس جمعية الدفاع عن حائط المبكى في تصريح نشرته صحيفة (بلستان ويك) اليهودية: إن المسجد الأقصى القائم على قدس الأقداس في الهيكل إنما هو لليهود.

وفي ٢٠/١١/١٩٣٠م بعث رئيس حاخامي رومانيا «روزنباخ» كتاباً إلى رئيس المجلس الشرعي الاسلامي ومفتي فلسطين الأكبر يطلب فيه بتسليم المسجد الأقصى لليهود ليقيموا فيه شعائرهم الدينية، الأمر الذي أثار ضجة كبرى في فلسطين.^(٤) وفي نفس العام تقريباً صرح «الفرد منه» الوزير اليهودي البريطاني حينذاك: أن اليوم الذي سيعاد فيه بناء الهيكل أصبح قريباً جداً، وإنني أكرس ما بقى من حياتي لبناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى»^(٥)

وفي عام ١٩٦٧م أعلن دافيد بن غوريون: أنه لامعنى لاسرائيل بدون القدس، ولا معنى للقدس بدون انتزاع موقع الهيكل من العرب.^(٦)

(١) نقلا عن مقال القدس في ضوء العقيدة الاسلامية لمفتي الاردن الشيخ عز الدين التميمي - مجلة البلاغ عدد ٨١٢ ص ٤٦.

(٢) حسن فتح الباب: المؤامرات الصهيونية من خبير إلى القدس ص ٦٣.

(٣) المرجع السابق

(٤) نفسه

(٥) نفسه

(٦) محمد أديب العامري: من تاريخنا ص ١٧٦.

وفي حرب حزيران ١٩٦٧م أسرع «شلومو غورين» حاخام الجيش الإسرائيلي إلى الحرم الشريف حاملاً التوراة، وأقام مع عدد كبير صلاة الشكر وأخذ يدعو إلى الإكثار من زيادة ما يسميه «جبل الرب» وأخذ يحثهم على العمل على الإسراع في إعادة بناء الهيكل الثالث.^(١)

ويدعى اليهود : أن المسجد الأقصى وفيه قبة الصخرة المشرفة - يقومان في المكان الذي كان عليه هيكل سليمان .

وفي عيد الغفران عام ١٩٦٨م قال المؤرخ اليهودي «إسرائيل الدادا» «نحن نقف الآن حيث وقف داود حين حرر القدس ، ومن ذلك الوقت مضى جيل واحد قبل أن يقوم سليمان ببناء الهيكل ، وهذا يعني أن اليهود ينوون إعادة بناء الهيكل خلال جيل واحد» . ولما سئل المؤرخ الإسرائيلي ماذا سيكون مصير مسجد الصخرة في حالة الإقدام على بناء الهيكل؟ اجاب قائلاً : إن المسألة على كل حال مدار بحث ثم أردف قائلاً : لعل زلزلا يقع فيدمر مسجد المسلمين» .^(٢)

هذه الاعتداءات المتكررة على أهلنا في فلسطين المحتلة وخارجها ، وعلى المقدسات الإسلامية ، وفي مقدمتها المسجد الأقصى والصخرة المشرفة والمسجد الإبراهيمي - ستكون سبباً في تدمير يهود ، وإزالة دولتهم من الوجود كما أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر يا مسلم ، يا عبدالله ، هذا يهودي ورائي فاقتله»^(٣) وعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لاتقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون ، حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم ، يا عبدالله ، هذا يهودي خلفي ، فتعال فاقتله ، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود»^(٤) .

١) نقلاً عن مقال القدس في ضوء العقيدة الإسلامية للشيخ عز الدين التميمي - مجلة البلاغ الكويتية عدد ٨١٣ ص ٤٠ .

٢) نفس المرجع .

٣) صحيح مسلم ٢٢٣٩/٤ ، سنن الترمذي ٥٠٨/٤ ، مسند الامام أحمد ١٢٢/٢ ، ١٤٩ .

٤) صحيح مسلم ٢٢٣٩/٤ ، مسند الامام أحمد ٤١٧/٢ .

الغرقد نوع من الشجر معروف في بيت المقدس ، وقال أبو حنيفة الدينوري :
إذا عظمت العوسجة صارت غرقدة ، والحديث يدل : على أن المعركة الفاصلة بين
اليهود والمسلمين ستقع إن شاء الله تعالى ، فيجب على المسلم أن يهيء نفسه لذلك
اليوم الفاصل بين اليهودية والاسلام ، والله وحده يعلم متى يكون ذلك اليوم . ومن
يدري لعل الله قدر أن يساق اليهود بجملتهم إلى أرض فلسطين ، فقد هاجر إليها
يهود روسيا والدول الغربية والعربية ويهود الفلاشا ويهود إيران ، لتكون هذه الأرض
المقدسة مقبرتهم الأخيرة التي لن تقوم لهم بعدها قائمة ولن يبقى لهم بعد كيان ودولة .
وفي الحديث : إشارة الى أن المستقبل لهذا الدين ، وأن الغلبة له في النهاية مهما
حيكت له الدسائس ، وتآمر عليه الأعداء .
«ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله . والله العزة والرسولة وللمؤمنين ولكن المنافقين
لا يعلمون» .

٢ - إن الدجال لا يدخل بيت المقدس .

من أمارات الساعة الكبرى ظهور الدجال - كما سماه الرسول صلى الله عليه
وسلم - لكثرة تدجيله وكذبه ، يدعي الألوهية ، ويجري الله على يديه بعض مقدوراته
كإحياء الموتى ، وإنزال المطر ، وإنبات النبات ، ليمتحن الناس ويختبرهم في آخر الزمان
فيفتتن البعض به ، ويثبت الله الذين آمنوا فلا ينجذعون بباطله وضلاله .
ويظهر الدجال على كل الأرض ماعدا الكعبة ، ومسجد الرسول صلى الله عليه
وسلم ، والمسجد الأقصى ، ومسجد الطور ، كما ورد في الأحاديث .

- روى أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه
وسلم وذكر الدجال فقال : وأنه سيظهر على الأرض كلها إلا الحرم وبيت المقدس ،
وأنه يحصر المؤمنين في بيت المقدس قال : فيهمزه الله وجنوده حتى إن جذم - أصل
- الحائط وأصل الشجرة ينادي يامؤمن ، هذا كافر يستتر بي تعال فاقتله . . « أخرجه

الحاكم في مستدركه في كتاب صلاة الكسوف وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .^(١)

- وعن جناده بن أبي أمية قال : أتينا رجلاً من الأنصار من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فدخلنا عليه ، فقلنا : حدثنا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا تحدثنا ما سمعت من الناس فشددنا عليه ، فقال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا فقال : أنذركم المسيح وهو ممسوح العين - أحسبه قال العين اليسرى - تسير معه جبال الخبز وأنهار الماء ، علامته : يمكث في الأرض أربعين صباحاً ، يبلغ سلطانه كل منهل ، لا يأتي أربعة مساجد : الكعبة ، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، والمسجد الأقصى ، والطور ، ومهما كان من ذلك فاعلموا أن الله عز وجل ليس بأعور . قال ابن عون : أحسبه قال يسلط على رجل فيقتله ، ثم يحييه ولا يسلط على غيره» رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .^(٢)

(١) الزركشي : إعلام الساجد ص ٢٩٠ ، وقال ضياء الدين المقدسي في فضائل بيت المقدس ص ٦٢ : «رواه الإمام أحمد في مسنده بطوله بنحوه عن أبي كامل عن الزهير عن الأسود ، والترمذي وابن ماجه والنسائي طرفاً منه وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(٢) الهيثمي : مجمع الزوائد ٣٤٣/٧ ، ضياء الدين المقدسي : فضائل بيت المقدس ص ٦٣ .

المبحث الثالث

إسلامية أرض بيت المقدس وما حوله

إن الله تعالى بسابق علمه، وببالغ حكمته، وعزة قدرته، إذا أراد أمراً هياً له أسبابه، وقد وصف نفسه عز وجل بقوله : «قُلْ أَللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَبْدِلُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(١).

ولما أراد جلَّ شأنه ، وعز سلطانه نقل الملك عن الروم إلى المسلمين في بلاد الشام عامة وبيت المقدس خاصة ، جعل قلوب المسلمين تحن شوقاً إليه عن طريق اتخاذ قبلة لهم ، وجعله معراج نبيهم إلى السماوات العلى ، وأوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم بالإكثار من ذكره ؛ حتى أصبح يمثل صورة حية في أذهانهم ، ويصور لنا الواقدي ذلك الحنين بقوله : «ولقد بلغني أن المسلمين باتوا تلك الليلة - أي ليلة التجمع حول بيت المقدس - كأنهم ينتظرون قادماً يقدم عليهم من شدة فرحهم بقتال أهل بيت المقدس ، وكل أمير يريد أن يفتح على يديه ، فيتمتع بالصلاة فيه ، والنظر إلى آثار الأنبياء ، قال : فلما أضاء الفجر أذن ، وصلت الناس صلاة الفجر ، قال : فقرأ يزيد لأصحابه «يَنْقُومُ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ»^(٢) فيقال : إن الأمراء أجرى الله على ألسنتهم في تلك الصلاة أن قرأوا هذه الآية كأنهم على ميعاد واحد»^(٣). كما ألقى الله تعالى في قلوب الروم الذين كانوا يحكمون بلاد الشام الرُّوعَ والرَّهبةَ من المسلمين ، وكان أول ذلك الرُّوع والرَّهبة : رؤيا رآها هرقل الروم في منامه فأصبح وهو مهموم ، يقلب طرفه إلى السماء ، فقالت له بطارقه : أيها الملك لقد أصبحت مهموماً ، فقال أجل . فقالوا : وما ذاك ؟ فقال : «أريت في هذه

(١) آية ٢٦ من سورة آل عمران .

(٢) آية ٢١ من سورة المائدة .

(٣) الواقدي : فتوح الشام - المكتبة الاهلية ببيروت ط ١٩٦٦ م ٢١٥/١ .

الليلة أن ملكَ الخِتانِ ظاهر» فقالوا : والله مانعلم أمة من الأمم تختن إلا اليهود، وهم تحت يديك وفي سلطانك ، فإن كان قد وقع ذلك في نفسك فابعث في مملكتك كلها ، فلا يبقى يهودي إلا ضربت عنقه ، فتستريح من هذا الهم ، فإنهم في ذلك من رأيهم يديرونه بينهم إذ أتاهم رسول صاحب بصرى برجل من العرب قد وقع إليهم ، فقال : أيها الملك إن هذا الرجل من العرب من أهل الشاء والإبل ، يحدثك عن حدث كان ببلاده فاسأله عنه ، فلما انتهى إليه قال لترجمانه :

سأله ما هذا الخبر الذي كان ببلاده ؟ فسأله فقال : هو رجل من العرب من قریش ، خرج يزعم أنه نبي ، وقد اتبعه أقوام ، وخالفه آخرون ، وقد كانت بينهم ملاحم في مواطن ، فخرجت من بلادي وهم على ذلك . فلما أخبره الخبر قال : جردوه فإذا هو مختن ، فقال : هذا والله الذي قد رأيت ، لاماتقولون ، فأعطه ثوبه ، ثم إنه دعا صاحب شرطته فقال له : قلب لي الشام ظهراً لبطن حتى تأتيني برجل من قوم هذا أسأله عن شأنه . قال أبو سفيان : فوالله إني وأصحابي لبغزة إذ هجم علينا ، فسألنا ممن أنتم ؟ فأخبرناه فساقنا إليه جميعاً .^(١) فسأل هرقل أبا سفيان عدة أسئلة ليتحقق من صفة النبي الذي سيرسل في زمنه ، فلما تحقق من تلك الصفات قال : «ولو أني أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت قدميه ، وليلغن مملكة ما تحت قدمي»^(٢) وفي رواية البخاري «لتجشمت لُقيَّه»^(٣) ، والمعنى : لتكلفت الوصول إليه وارتكبت المشقة في ذلك ، ولكن أخاف أن اقتطع دونه . قال النووي : ولا عذر له في هذا ، لأنه قد عرف صدق النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما شح في الملك ، ورغب في الرياسة فأثرها على الإسلام ، وقد جاء ذلك مصرحاً به في صحيح البخاري ولو أراد الله هدايته لوفقه كما وفق النجاشي ، وما زالت عنه الرياسة ، ونسأل الله توفيقه .^(٤)

ولم يقتصر الأمر في تعبئة نفوس المؤمنين وتخويف الروم على مجرد إلقاء المواعظ ، وسرد خصائص بيت المقدس ، ولا إرسال الرسل والإنذار النظري ، بل توج كل ذلك

(١) ابن كثير : البداية والنهاية - مكتبة المعارف ببيروت ط ٣ ١٩٨٠ م ٤/٢٦٢-٢٦٣ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٠٧/١٢

(٣) صحيح البخاري ٤/٤

(٤) النووي : شرح صحيح مسلم ١٠٧/١٢

بالعمل الجاد والتحرك الفعلي تجاه بلاد الشام، وكانت أول غزوة لتلك البلاد وهي غزوة مؤتة^(١) بقيادة الصحابي المعروف زيد بن حارثة : فقد كرس هذه الغزوة في نفوس الصحابة رضوان الله عليهم أبعاد هذا الدين وأهدافه، فهو لا يقف عند حدود الجزيرة العربية، وإنما يتخطاها ليدعو كافة الشعوب، للدخول في هذا الدين، وزودتهم بفتن الحروب الكبيرة التي كانوا يجهلون وسائلها وأدواتها. وفي المقابل ألقت هذه الغزوة في قلوب الروم الخوف والرعبة، وعرفتهم بجدية المسلمين اذا ما هددوا بشيء، وبحقيقة مواقفهم الإيجابية : فهم لا يسكتون عن الحق، ولا يقبلون الضيم، ولا يخضعون لظالم متكبر.

وهم يحبون الموت أشد من حب الروم للحياة، فقد كان عدد المشركين في هذه الغزوة حوالي مائتي ألف مقاتل، في حين أن عدد المسلمين لم يتجاوز ثلاثة آلاف، ولكن الإيثار المستقر في قلوب هؤلاء الرجال جعلهم لا يبالون بكثرة الأعداء، فحمل زيد بن حارثة الراية، وجعل يقاتل بشجاعة واستماتة، حتى شاط في رماح القوم - أي حتى تمزق وتقطع بسبب كثرة ما أصابه من طعنات، فتناول الراية من يده جعفر بن أبي طالب وكان في الثالثة والثلاثين من عمره، فأخذ يقاتل قتال الأبطال المغاوير، وعندما أحاط به المشركون وهويقاتلهم على فرسه ترجل عنها، واندفع على قدميه وسط الصفوف يهوى بسيفه على رؤوس أعدائه حتى سقط شهيداً. روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : «كنت في تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى، ووجدنا في جسده بضعا وتسعين ما بين طعنة برمخ ورمية بسهم»^(٢) وفي رواية «ما وجدنا منها شيئا في ظهره»^(٣) ثم أخذ الراية من بعد جعفر عبد الله بن رواحة، فتقدم بها وهو يتردد بعض التردد، ولكنه بعد قليل تشجع، وأخذ يقاتل القوم وهو يقول :

يَانْفُسُ الْاُتْقَتْلِي تَمُوتِي هَذَا حِمَامُ الْمَوْتِ قَدْ صُلِيَتْ
وَمَا تَنْتِيْتُ فَقَدْ أُعْطِيَتْ إِنْ تَفْعَلِي فَعَلَّيْهَا هَدِيَتْ

(١) سميت بالغزوة وإن لم يحضرها رسول الله صلى الله عليه وسلم لكثرة المحاربين فيها حيث بلغوا ثلاثة آلاف جندي .

(٢) صحيح البخاري ٨٦/٥ - ٨٧ .

(٣) نفس المرجع .

وقاتل في سبيل الله حتى استشهد .

ثم أخذ الراية من بعد عبدالله ثابت بن أرقم ، فصاح في الناس يامعشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم . قالوا : أنت . قال ما أنا بفاعل ، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الراية شرع يقاتل الروم بمهارة واحتيال ، حتى اندقت في يده تسعة أسياف ، وما ثبت في يده إلا صفيحة يمانية .

وفي السنة التاسعة للهجرة أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم عزمه على الخروج إلى تبوك ، وهي تقع في أقصى شمال الجزيرة العربية على حدود الشام ، وكان يهدف إلى تأمين قاعدة متقدمة للمسلمين ، للانطلاق منها إلى الشام ، فجلس في تبوك مدة : يبائع بعض القبائل العربية على الإسلام ، ويعقد المعاهدات مع القبائل الأخرى على الجزية ، إلى أن تم خضوع تلك المنطقة لحكم الإسلام . ولما رجع إلى المدينة المنورة جهز جيشاً تحت قيادة أسامة بن زيد . وأمره أن يوطيء الخيل تخوم البلقاء ، والداروم من أرض فلسطين ، وقد كان في هذا الجيش جميع المهاجرين والأنصار ، ومن كان حول المدينة من المسلمين ، لكن الله تعالى قد شاء أن يُقبض رسوله صلى الله عليه وسلم قبل ابتداء المسير إلى الشام ، فتوقف الجيش إلى أن تولى أبو بكر الصديق رضي الله عنه خلافة المسلمين ، فأمضاه كما أوصى النبي صلى الله عليه وسلم .

منشأ ارتباط أرض بيت المقدس بالإسلام

يرجع ارتباط أرض فلسطين بالإسلام إلى اتخاذ الرسول صلى الله عليه وسلم بيت المقدس قبلة له في الصلاة منذ البعثة ، وإلى كون تلك الأرض موضعاً لمعراجه صلى الله عليه وسلم إلى السموات العلى ، وإلى الفتح الإسلامي لبيت المقدس وما حوله في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

١ - بيت المقدس قبلة الرسول صلى الله عليه وسلم منذ البعثة .

منذ أن بُعث النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتجه في صلاته إلى بيت المقدس ،

واستمر على ذلك طيلة المدة التي مكثها في مكة المكرمة وكان يجمع بين القبلتين : بيت المقدس ، والكعبة المشرفة فيصلي بين الركنين في جهة الجنوب مستقبلاً للشمال ، ولما هاجر إلى المدينة المنورة تعذر الجمع بين القبلتين ، فأمر بالتوجه إلى بيت المقدس ، واستمر على ذلك ستة عشر شهراً ، أو سبعة عشر شهراً ، إلى أن نزل الأمر الإلهي بالتحول إلى الكعبة ، قبله أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام .

أخرج البخاري في صحيحه ، عن البراء بن عازب ، قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نزل على أجداده أو أخواله من الأنصار ، وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهراً ، أو سبعة عشر شهراً ، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت^(١) وأخرج الإمام أحمد والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي بمكة نحو بيت المقدس ، والكعبة بين يديه ، وبعدما هاجر إلى المدينة ستة عشر شهراً ، ثم صرف إلى الكعبة »^(٢) .

وأخرج الإمام أحمد عن عبيد الله بن كعب قال : خرجنا في حُجاج قومنا من المشركين وقد صلينا وفقهنا ، ومعنا البراء بن معرور كبيرنا وسيدنا ، فلما توجهنا لسفرونا وخرجنا من المدينة قال البراء لنا : إني قد رأيت والله رأياً ، وإني والله ما أدري توافقوني عليه أم لا ؟ قلنا له : وما ذاك ؟ قال : قد رأيت أن لا أدع هذه البنية مني بظهر - يعني الكعبة - وأن أصلي إليها . فقال : والله ما بلغنا أن نبينا يصلي إلا إلى الشام ، وما نريد أن نخالفه . فقال : إني أصلي إليها ، قال : فقلنا له : لكننا لانفعل ، فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام ، وصلى إلى الكعبة حتى قدمنا مكة . . فسألنا النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال للبراء : « لقد كنت على قبله لو صبرت عليها » فرجع البراء إلى قبله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصلى إلى الشام .^(٣)

فقوله صلى الله عليه وسلم : « لقد كنت على قبله . . » يدل على أن المسلمين كانوا يصلون بمكة إلى بيت المقدس ، ويتخذونه قبله لهم ، وبهذا أصبح ذلك البيت

(١) رواه البخاري في صحيحه ١٥/١ .

(٢) مسند الامام أحمد ٣٢٥/١ ، مجمع الزوائد للهيتمي ١٢/٢ وقال : رجاله رجال الصحيح .

(٣) رواه الامام أحمد في مسنده ٤٦١/٤ .

علماً من أعلام الإسلام، وشعيرة من شعائر هذا الدين، فلا يجوز للمسلمين التخلي عنه، ولا التقصير في حمايته وتطهيره من الأرجاس والأنجاس .
وحرصُ النبي صلى الله عليه وسلم على الجمع بين القبلتين في مكة يدل على ربط بيت المقدس بالبيت الحرام ربطاً قوياً، فهما مكانان مباركان ومقدسان ويستحقان أن لا ينفصل أحدهما عن الآخر في القدسية . والتفريط في أحدهما تفريط في الآخر .

تحويل القبلة

بعد حوالي سبعة عشر شهرا من الهجرة نزل تحول القبلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يصلي الظهر، بعد أن صلى ركعتين، وذلك في مسجد بني سلمة، فسمى مسجد القبلتين^(١)، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتشوف إلى استقبال الكعبة، ويدعو الله تعالى أن يحوله إلى قبلة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام . قال تعالى : « قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّنَكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ »^(٢) وفي سبب محبته عليه السلام التوجه إلى البيت الحرام وترك التوجه إلى بيت المقدس وجوه^(٣) .
الأول - مخالفة اليهود حيث كانوا يقولون : يخالفنا محمد ثم يتبع قبلتنا، ولولا نحن لم يدر أين يستقبل .

الثاني - أن الكعبة كانت قبلة أبي الانبياء إبراهيم عليه السلام .

الثالث - أنه عليه السلام كان يرغب في تحويل القبلة استمالة للعرب، لدخولهم في الإسلام .

والرابع - أنه أراد أن يشعر الدنيا بأن التشريع الإلهي ، والوحي السماوي قد انتقل من ولد إسحاق بن إبراهيم ، إلى ولد إسماعيل بن إبراهيم .

(١) ذكر النووي عن محمد بن حبيب الهاشمي : أنها حوت في الظهر يوم الثلاثاء نصف شعبان، كان صلى الله عليه وسلم في أصحابه فحانت صلاة الظهر في منازل بني سلمة ، فصل بهم ركعتين من الظهر في مسجد القبلتين إلى القدس ثم أمر في الصلاة فاستدار واستدارت الصفوف خلفه فأتم الصلاة فسمى مسجد القبلتين .

(٢) آية : ١٤٤ من سورة البقرة .

(٣) انظر : ابن الجوزي : زاد المسير ١٥٦/١

٢ - أرض بيت المقدس أرض الإسراء والمعراج .

يعود ارتباط أرض بيت المقدس بالإسلام إلى حادثة الإسراء والمعراج الثابتة بالقرآن والسنة والإجماع : « سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ »^(١)، وهي حادثة فريدة أكرم الله بها نبيه في وقت اشتد فيه أذى المشركين بمكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسرى به من مكة إلى بيت المقدس ، وكان أن عرج به من صخرة بيت المقدس إلى السماوات العلى .

وإن دلت هذه الحادثة على شيء فهي تدل على ما يأتي :

أ - ارتباط المسجد الأقصى بالمسجد الحرام .

لقد ربطت حادثة الإسراء والمعراج بين المسجدين ربطاً روحياً قبل أن تتصل حدود أرضيهما ببضعة عشر عاماً، فانتقل النبي صلى الله عليه وسلم بروحه وجسده من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وصلى فيه الأنبياء والمرسلين ، حيث أحياهم الله وجمعهم له ، وذلك ليعلن للناس جميعاً أن المسجد الأقصى أصبح مسجداً للمسلمين ، مرتبطاً بالمسجد الحرام في رباط قدسي دائم . يقول د . مصطفى السباعي : «أما صلة المسجد الحرام بالمسجد الأقصى فهو صلة الشرف بالشرف : فكان مكة هم أشرف أهل الأرض ، لأنهم سكان الكعبة وسدنتها من لدن أن بناها إبراهيم عليه السلام ، والمسجد الأقصى هو مهبط الرسالات ، وملتقى النبوات في فترات طويلة من التاريخ ، فيجب أن تنطلق مواكب التحرير من هاتين البقعتين ، وتسير كتائب الإيمان من هذين المسجدين ليهتدي العالم الضال ، والإنسانية التائهة بنور الايمان ، ورسالة الإسلام»^(٢) .

(١) آية ١ من سورة الاسراء .

(٢) نقلاً عن كتاب الاسلام والقضية الفلسطينية لعبدالله علوان ص ١٥

ب - وجوب تحرير أرض المسجد الأقصى .

لقد جاءت هذه الحادثة في وقت اشتداد المحن والشدائد ، وفي وقت كانت فيه الحركة الإسلامية دعوة سرية ، فكأن الله أراد أن يلقي في روع المؤمنين ضرورة تحرير أرض المسجد الأقصى ، وعدم التغافل عنه مهما كانت الضغوط على المسلمين في بقاعهم الأخرى ، فهي أمانة عظيمة في أعناق المسلمين جميعاً . وهي جزء لا يتجزأ من أرض الإسلام ، فلا يجوز التنازل عن شبر من أرضها ، ويجب على المسلمين : أن يدافعوا بكل ما يملكون من قوة ، وأن يعتبروا الدفاع عنها واجباً يحتمه الدين والعقيدة ، لا مفر لكل من يؤمن بالله واليوم الآخر من القيام به ، إلى آخر مدى من القدرة والاستطاعة .^(١)

٣ - فتح بيت المقدس وما حوله .

بعد أن تم فتح دمشق على يد الصحابي الجليل أبي عبيدة عامر بن الجراح - استشار قادة الجيش في الجهة التي يتجهون إليها ، فأشاروا عليه باستشارة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فكتب إليه يستشير ، فجاء الرد بالتوجه إلى بيت المقدس . ولما علم المسلمون بذلك فرحوا فرحاً شديداً لشدة شوقهم إلى بيت المقدس . واستدعى أبو عبيدة سبعة من قادة المسلمين وهم : خالد بن الوليد ، ويزيد بن أبي سفيان ، وشرحبيل بن حسنة ، والمرقال بن هاشم بن عتبة ، والمسيب بن نجبة الفزاري ، وقيس بن هبيرة ، وعروة بن مهلهل ، ثم عقد لكل منهم راية ضاماً إليه خمسة آلاف مقاتل ، وأمرهم بالمسير إلى بيت المقدس ، ولما وصل أولئك القادة إلى أسوار بيت المقدس بدأ القتال بين الفريقين ، واستمرت المعركة عشرة أيام ، وفي اليوم الحادي عشر قدم أبو عبيدة عامر بن الجراح ، ومعه فرسان المسلمين وأبطال الموحدين ، فرفع المسلمين أصواتهم بالتهليل والتكبير ، ووقع الرعب في قلوب الروم ، وذهبوا إلى البطريق فأخبروه بمقدم أمير القوم ، فقال : « وحق الإنجيل إن كان قدم أميرهم فقد دنا هلاككم والسلام . قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : لأننا نجد في العلم الذي ورثناه

(١) انظر : مقال ذكرى الاسراء والمعراج في تاريخنا للدكتور مصطفى السباعي ضمن كتاب احكام الصيام ص ١٠٢

عن المتقدمين : أن الذي يفتح الأرض في الطول والعرض هو الرجل الأسمر الأحور المسمى بعمر، صاحب نبيهم محمد، فإن كان قدم فلا سبيل لقتاله، ولا طاقة لكم بنزاله، ولا بد لي أن أشرف عليه، وأنظر إليه، وإلى صورته فإن كان إياه عمدت إلى مصالحته، وأجبتة إلى ما يريد، وإن كان غيره فلا نسلم إليه قط، لأن مدينتنا لا تفتح إلا على يد من ذكرته لكم والسلام»^(١) فوثب البطريق ومن معه من القساوسة والرهبان، ليتحققوا من شخصية الأمير، فعرفوا أنه ليس عمر وقال لبني قومه : «ليس هو هذا الرجل فأبشروا وقاتلوا عن بلدكم ودينكم»^(٢) وأقبلوا يقاتلون القتال الشديد، واستمر النزال والحصار لهذه المدينة أربعة أشهر، وقد أظهر المسلمون بطولة وشجاعة نادرتين فقاتلوا قتالاً شديداً وصبروا على البرد القارس والثلج والمطر، ولما رأى أهل بيت المقدس شدة الحصار وإحكامه وشجاعة المسلمين وصبرهم، طلبوا من البطريق أن يظهر للمسلمين ويعرف ما يريدون، فظهر البطريق، وقام له أبو عبيدة وجماعة من المسلمين، فقال لهم : «ماذا تريدون منا في هذه البلدة المقدسة، ومن قصدها يوشك أن يغضب الله عليه ويهلكه».

فقال أبو عبيدة : «نعم إنها شريفة، وفيها أسري بنينا إلى السماء، ودنا - كقاب قوسين أو أدنى، وإنها معدن الأنبياء وقبورهم فيها، ونحن أحق منكم بها، ولا نزال عليها، أو يملكنا الله إياها، كما ملكنا غيرها».

قال البطريق : فما الذي تريدون منا ؟

قال أبو عبيدة : «خصلة من ثلاث . . .»^(٣) أي إما الاسلام، وإما الصلح، وإما القتال، فلما رأوا إصرار المسلمين على القتال وعزمهم الأكيد على فتح هذه المدينة أذعنوا للصلح وتسليم المدينة، ولكنهم اشترطوا ألا يسلموها إلا لشخص الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فوافقهم أبو عبيدة على ذلك، فصارت هدنة الى أن جاء عمر رضى الله عنه، وكتب مع أهل بيت المقدس كتاب الصلح الذي جاء فيه : «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من

(١) الواقدي : فتح الشام - المكتبة الاهلية ببيروت ط ١٩٦٦ / ١ / ٢١٦

(٢) نفس المرجع.

(٣) الواقدي : فتح الشام - المكتبة الاهلية ببيروت ط ١٩٦٦ م ١ / ٢١٧ - ٢١٩.

الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمتها وبريئتها وسائر ملتها، أنه لا تُسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها، ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود^(١)، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت - يعني اللصوص - فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم، حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء، وذمة المؤمنين، إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية، شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعمر بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان.^(٢)

هكذا تم فتح مدينة بيت المقدس صلحاً على يد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وبشرط أن تكون الأرض مملوكة للمسلمين، ويقر أهلها عليها بخراج معلوم، ويؤيد ذلك : ما ورد في كتاب الصلح أو العهدة العمرية : « أعطاهم يعني عمر رضى الله عنه - أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم . . وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن »، وما أقرَّ به بطريرك القدس صفرونيوس من أحقية المسلمين بهذه الأرض، لأنه مكتوب عندهم في الكتب حيث قال : «لأننا نجد في العلم الذي ورثناه عن المتقدمين : أن الذي يفتح الأرض في الطول والعرض هو الرجل الأسمر الأحور المسمى بعمر صاحب نبيهم محمد، فإن كان قدم فلا سبيل لقتاله ولا طاقة لكم بنزاله».

(١) هذا شرط البطريرك صفرونيوس الذي سلم مدينة القدس للمسلمين، لأن النصارى قد حرموا عليهم العيش في المدينة المقدسة تخلصاً من مؤامراتهم ودسائسهم.

(٢) الطبري : تاريخ الامم والملوك - دار الفكر بيروت ٤/ ١٥٩-١٦٠.

وقد ترتب على فتح بيت المقدس ، فتح بقية المدن الفلسطينية ، حيث أمر عمر رضي الله عنه يزيد بن أبي سفيان على بيت المقدس ، وأمره بفتح بقية المدن الفلسطينية التي لم تفتح بعد : كقيسارية ، وغزة ، فاستعان بأخيه معاوية وسيره إلى قيسارية ، فنازل أهلها وقتلهم قتالا شديدا حتى أنه قتل منهم مائة ألف^(١) ، وتم فتح هذه المدينة على يديه عنوة ، وكذا غيرها . قال أبو عبيدة : «أرض الشام عنوة - أي فتحت عنوة - ما خلا مدنها فإنها فتحت صلحا ، إلا قيسارية افتتحت عنوة»^(٢) .

حكم الأرض المفتوحة عنوة أو صلحا عند فقهاء المسلمين

اتفقت كلمة فقهاء المسلمين على أن الأرض المفتوحة عنوة أو صلحا تدخل في دار الإسلام ، وتسري عليها أحكامها من وجوب الدفاع عنها والقتال دونها ، ثم إن هذه الصفة لا تنفك عنها وإن استولى الأعداء بعد ذلك عليها ، فيجب على المسلمين بذل كل ما يملكونه من جهد للذود عنها ، وطرد الأعداء الغاصبين منها ، وإقامة حكم الله فيها .

١ - دخول الأرض المفتوحة عنوة أو صلحا في دار الإسلام .

تدخل الأرض المفتوحة عنوة أو صلحا في دار الإسلام بمجرد الفتح الإسلامي لها ، سواء بقي أهلها فيها أو جلوا عنها ، وتطبق عليها أحكام الإسلام ، ويجب على المسلمين الدفاع عنها ، والمحافظة عليها ، ويؤيد ذلك ما ذكره فقهاء المسلمين . فقال الماوردي وأبو يعلى الفراء : «وتصير هذه الأرض - أي المفتوحة عنوة - دار إسلام سواء سكنها المسلمون أو أعيد إليها المشركون ، لملك المسلمين لها ، ولا يجوز أن يستنزل عنها للمشركين لثلاث تصير دار حرب»^(٣) .

وقال الماوردي في الأرض المفتوحة صلحا : على أن تكون الأرض

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ - دار الكتاب العربي بيروت ٣٤٦/٢ .

(٢) نقلا عن كتاب المغني لابن قدامة الحنبلي ٧١٧/٢ .

(٣) الماوردي : الأحكام السلطانية ص ١٣٦ ، الفراء : الأحكام السلطانية ص ١٤٦ .

للمسلمين، ويقر أهلها عليها بجزية وخراج معلومين : «أن يصالحهم على أن ملك الأرض لنا - أي للمسلمين - فتصير بهذا الصلح وقفاً من دار الإسلام، ولا يجوز بيعها ولا رهنها، ويكون الخراج أجرة لا يسقط بإسلامهم، فيؤخذ خراجها إذا انتقلت إلى غيرهم من المسلمين»^(١)

وبناء على هذا الحكم الذي قرره الفقهاء فإن أرض فلسطين التي فتح بعضها عنوة وبعضها صلحاً قد دخلت في دار الإسلام منذ ذلك الفتح، وطبقت عليها أحكام الإسلام، وأمر عليها عمر بن الخطاب يزيد بن أبي سفيان، وحافظ المسلمون على إسلاميتها، وبقوا يجبون من أهلها الخراج. روى أبو عبيد عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى عبد الله بن عوف - عامله على فلسطين - فيمن كانت في يده أرض بجزيتها من المسلمين، أن يقبض جزيتها، ثم يؤخذ منها زكاة ما بقى بعد الجزية. قال إبراهيم ابن أبي عبله العقيلي - راوي الأثر : أنا ابتليت بذلك ومني أخذ.^(٢)

٢ - وجوب الدفاع عن دار الإسلام.

أوجب الإسلام على الإمام الذي يتولى شؤون الأمة الإسلامية الدفاع عن البلاد الإسلامية التي خضعت لحكم المسلمين، بإعداد الجيوش القوية، وشحن الثغور المتاخمة لبلاد الأعداء بالعدة المانعة، والقوة الدافعة لئلا يقع الاعتداء على بلاد المسلمين، وتنتهك الحرمات، وتسفك الدماء، ويهلك الحرث والنسل. قال الماوردي في بيان ذلك الواجب : «والذي يلزمه من الأمور العامة عشرة أشياء . . . الثالث : حماية البيضة، والذب عن الحرم، ليتصرف الناس في المعاش، وينتسروا في الأسفار آمنين من تغرير بنفس أو مال . . . والخامس : تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة، حتى لا تظفر الأعداء بغرة ينتهكون فيها محرماً، أو يسفكون فيها مسلم أو معاهد دماً»^(٣) وقال النووي : «أن يشحن الإمام الثغور بجماعة يكافئون من بإزائهم من الكفار، وينبغي أن يحتاط بإحكام الحصون وحفر الخنادق ونحوها»^(٤).

(١) الماوردي : نفس المرجع ص ١٣٧

(٢) أبو عبيد : الأموال ص ١٢٧

(٣) الماوردي : الأحكام السلطانية ص ١٥ - ١٦

(٤) النووي : روضة الطالبين ٢٠٨/١٠

فإذا هاجم الأعداء دار الإسلام واستولوا على شيء منها صار الجهاد فرضاً عينياً على المسلمين، فإذا أعلن الإمام النفير العام وجب على كل فرد منهم أن يطيعه بما يقدر عليه من الجهاد بنفسه وبماله، حتى أن الابن يخرج دون إذن أبيه، لأن حق الوالدين لا يظهر في فروض الأعيان، كالصلاة والصوم، والزوجة دون إذن زوجها.

وقال الكاساني - في حكم الجهاد إذا عم النفير بأن هجم العدو على بلد من بلاد المسلمين : «إذا عم النفير بأن هجم العدو على بلد - فهو فرض عين - يفترض على كل واحد من آحاد المسلمين ممن هو قادر عليه، لقوله سبحانه وتعالى : «انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا» قيل : نزلت في النفير، وقوله تعالى : «مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ»، ولأن الوجوب على الكل قبل عموم النفير ثابت، لأن السقوط عن الباقي بقيام البعض به، فإذا عم النفير لا يتحقق القيام به إلا بالكل، فبقى فرضاً على الكل عينا بمنزلة الصوم والصلاة، فيخرج العبد بدون إذن مولاه، والمرأة بغير إذن زوجها، لأن منافع العبد والمرأة في حق العبادات المفروضة عيناً مستثناة عن ملك المولى والزواج شرعاً، كما في الصوم والصلاة، وكذا يباح للولد أن يخرج بغير إذن والديه، لأن حق الوالدين لا يظهر في فروض الأعيان كالصوم والصلاة، والله سبحانه وتعالى أعلم»^(١)

لقد حافظ المسلمون على أرض فلسطين - باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من دار الإسلام - منذ أن فتحها الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعندما تعرضت تلك البلاد لهجمات الصليبيين الهمجية، والذين استطاعوا بواسطتها أن يستولوا على بيت المقدس ويؤسسوا فيه مملكة اللاتين التي استمرت حوالي مائة سنة، انطلق المسلمون من جميع بقاع الأرض مستشعرين الواجب المقدس : وهو تحرير ما اغتصب من أرض المسلمين، انطلقوا بقيادة القائد المسلم صلاح الدين بعد أن عملوا على تصفية العقيدة الإسلامية مما علق بها من انحرافات وتصورات خاطئة، وبعد أن بذلوا الجهد في توحيد كلمة المسلمين، انطلقوا إلى تحرير الأرض المقدسة التي اغتصبها دعاة التعصب الغربي، فكلل الله جهودهم بالنجاح والتحرير.

وعندما ساوم «هرتزل» السلطان عبد الحميد على أرض فلسطين قال له : «..

(١) الكاساني : بدائع الصنائع - مطبعة الامام بالقاهرة ١٣٠١ هـ .

إن بلادنا التي حصلنا على كل شبر منها ببذل دماء أجدادنا لا يمكن أن نفرط بشبر منها دون أن نبذل أكثر مما بذلناه من دماء في سبيلها»^(١). وأضاف قائلاً : «إنني أحب تطبيق المساواة على جميع المواطنين، ولكن إقامة دولة يهودية في فلسطين التي افتتحناها بدماء أجدادنا العظام فلا . . .»^(٢).

* استمرار صفة الإسلامية على أرض فلسطين بعد الاغتصاب .

نص العلماء على مسألة شبيهة بحالة فلسطين بعد الاغتصاب وصورة المسألة : إذا غلب أهل الحرب (الأعداء) على جزء من دار الإسلام، ولم يتمكن المسلمون من تحرير هذا الجزء المغتصب، وطبق الأعداء عليه أحكام الكفر فهل يصير هذا الجزء دار حرب وتزول عنه صفة الإسلامية أم لا ؟
اختلف العلماء في هذه المسألة على عدة أقوال :

١ - ذهب كثير من فقهاء الشافعية إلى استمرار صفة الإسلامية على هذا الجزء المغتصب من دار الإسلام، لأنه خضع لحكم الإسلام واستقر عليه ذلك الحكم، فلا تزول هذه الصفة بحدوث أي عارض كعدوان أو اغتصاب . ويجب على المسلمين بذل جميع ما بوسعهم، من أموال، وأنفس وجاه، ووقت، لتحرير هذا الجزء المغتصب .

قال ابن حجر في تحفة المحتاج نقلاً عن الرافعي وغيره من فقهاء الشافعية «إن دار الاسلام ثلاثة أقسام : قسم يسكنه المسلمون ، وقسم فتحوه وأقروا أهله عليه بجزية، ملكوه، أولاً، وقسم كانوا يسكنونه ثم غلب عليه الكفار»^(٣)
وقال البجيرمي : «إن دار الإسلام هي الدار التي يسكنها المسلمون ، وإن كان فيها أهل ذمة ، أو فتحها المسلمون وأقروها بيد الكفار ، أو كانوا يسكنونها ثم جلاهم الكفار عنها»^(٤).

(١) جواد اتلخان : الخطر المحيط بالاسلام ص ١٢١-١٢٢ نقلاً عن موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية لحسان على حلاق ص ١٨٣ .

(٢) اتلخان : الاسلام وبنو اسرائيل ص ١٥٢ نقلاً عن موقف الدولة العثمانية السابق ص ١٨٣ .

(٣) ابن حجر : تحفة المحتاج ٢٦٩/٩

(٤) حاشية البجيرمي ٢٧٨-٢٧٧/٤

٢ - وذهب أبو حنيفة إلى أن دار الاسلام تصبح دار حرب باجتماع شروط ثلاثة : أحدها : إجراء أحكام الكفار عليها على سبيل الاشتهار، وأن لا يحكم فيها بحكم من أحكام الإسلام . والثاني - أن تكون متصلة بدار الحرب ، فلا يتخلل بينها وبين دار الحرب بلد من بلاد المسلمين ، والثالث - أن لا يبقى فيها مؤمن ولا ذمى آمناً بالأمان الأول الذي كان ثابتاً له قبل استيلاء الكفار ، للمسلم بإسلامه ، وللذمي بعقد الذمة .^(٣)

٣ - وذهب الصحابان من الحنفية (أبو يوسف ومحمد بن الحسن) ، إلى أن دار الإسلام تصير دار حرب بشرط واحد : وهو إظهار أحكام الكفر : كأن يرتد أهل البلد المغتصب ، ولا يظهروا شعائر الإسلام : من صلاة وزكاة وجمعة وجماعة ، ولا يطبقوا أحكام الإسلام . ومن ذهب إلى هذا أيضاً المالكية والحنابلة .^(٢)

نظرة في آراء الفقهاء

إذا نظرنا في الشروط التي وضعها أبو حنيفة لانتقال دار الإسلام إلى دار حرب وفقدان صفة الإسلامية عن الأرض المغتصبة من دار الإسلام - نجد أن هذه الشروط لا تجتمع في أرض فلسطين وأهلها ، فهي غير متاخمة لدار الحرب ، وأهلها يظهرون شعائر الإسلام : من صلاة جماعة وجمعة وعيدين وصيام وغير ذلك . ويطبقون الأحكام الشرعية في كثير من معاملاتهم .

وعلى فرض تحقيق هذه الشروط فلا يمكن زوال صفة الإسلامية عن أرض فلسطين التي شرفها الله بالفتح الإسلامي ، وأستقر عليها حكم الإسلام مدة من الزمن ، ولا يتمكن أن يفتي عالم بغير ذلك فعندما تعرضت بلاد المسلمين لغزو التتار وهجماتهم أنكر أحد علماء الحنفية : وهو الإمام الإسبيجاي على من زعم أن الأرض

(١) الفتاوي الهندية ٢/٢٣٢ ، البحر الزخار للمرنضى ٣/٣٠١

(٢) الفتاوي الهندية ٢/٢٣٢ ، ابن هبيرة : الافصاح ٢/٢٣٠ الدمشقي : رحمة الأمة ٢/١٢٩ .

التي اغتصبها التتار صارت دار حرب . فقال : «إن دار الاسلام لا تنقلب الى دار حرب . . وذكر شروط الامام أبي حنيفة»^(١) ، وقال الشيخ إبراهيم الحلبي الحنفي بعد أن ذكر شروط أبي حنيفة «فالاحتياط هذه البلاد دار إسلام وإن كانت اليد في الظاهر للملأعين ، ولهؤلاء الشياطين ، ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين»^(٢) ويؤيد ذلك ما ذكره البجيرمي .

وأما الشرط الذي وضعه جمهور الفقهاء فهو غير متحقق في أهل فلسطين ، وأما رأي الشافعية في هذه المسألة فهو حسن . وأقرب الآراء إلى الصواب ، لأنه يحمل مسؤولية تحرير الجزء المغتصب من دار الإسلام إلى جميع المسلمين ، وينظر إليه على أنه جزء لا يتجزأ من دار الإسلام إلى يوم القيامة ، ولا يعتبره جسماً غريباً عن دار الإسلام .

وقد أيد هذا الرأي كل من الشيخ محمد رشيد رضا ، والدكتور وهبه الزحيلي . جاء في تفسير المنار «دار الإسلام . فيها أربعة آراء : الرأي الأول وهو أقرب الآراء إلى نصوص جمهور الفقهاء أن كل ما دخل في محيط سلطان الإسلام ، ونفذت فيها أحكامه ، وأقيمت شعائره ، قد صار من دار الإسلام ، ووجب على المسلمين عند الاعتداء عليه أن يدافعوا عنه وجوباً عينياً ، كانوا كلهم آثمين بتركه ، وإن استيلاء الأجنب عليه لا يرفع عنهم وجوب القتال لاسترداده ، وإن طال الزمان . فعلى هذا الرأي يجب على مسلمي الأرض إزالة سلطان جميع الدول المستعمرة لشيء من الممالك الاسلامية ، وإرجاع حكم الإسلام إليها ، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، وعجزهم الآن عن ذلك لا يسقط عنهم وجوب توطين أنفسهم عليه . وإعداد ما يمكن من النظام والعدة له ، وانتظار الفرص للوثوب والعمل»^(٣) .

وجاء في كتاب آثار الحرب في الفقه الاسلامي للدكتور وهبه الزحيلي «نجد في تحديد هذه الدار - أي دار الاسلام - أربعة آراء للعلماء ، نختار منها الرأي الأول ، لأنه أقرب الآراء الى نصوص جمهور الفقهاء وهو أن كل ما دخل من البلاد في محيط

(١) نقلاً عن العلاقات الخارجية في دولة الخلافة للدكتور عارف أبو عيد - دار الأرقم بالكويط ط ١٤٠٤ هـ ص ٦٠ .

(٢) إبراهيم الحلبي : در المنتقى في شرح المنتقى ١/٦٣٤ .

(٣) تفسير المنار دار المعرفة بيروت ٣١٦/١٠

سلطان الإسلام، ونفذت فيها أحكامه وأقيمت شعائره قد صار من دار الإسلام، ووجب على المسلمين عند الاعتداء عليه أن يدافعوا عنه وجوباً كفائياً بقدر الحاجة وإلا فوجوباً عينياً، وكانوا كلهم آثمين بتركه، وإن استيلاء الأجانب عليه لا يرفع عنهم وجوب القتال لاسترداده وإن طال الزمان، فمثل فلسطين اليوم والجزائر في الأمس القريب تعتبر كل منهما دار إسلام، يجب على المسلمين جميعهم تطهيرها من الدخيل»^(١).

بهذا يتبين أن صفة الإسلامية ملازمة لأرض فلسطين، لا تنفك عنها لأي عارض كاغتصاب أو احتلال أو نحوه، ولا صحة لقول القائل: «... وهذا بخلاف قرية إسلامية في حدود الأرض التي تغتصبها إسرائيل أو يسيطر عليها الشيوعيون ويمنعون فيها الشعائر قهراً وجبراً، وكبلاد أوروبا النصرانية فهذه كلها ليست دار إسلام، لأن الشعائر لا تظهر منها إلا تسامحاً بسبب الإنكار»^(٢).

وإذا ثبتت استمرارية هذه الصفة على أرض فلسطين فيجب على جميع المسلمين وجوباً عينياً أن يعملوا على تحرير هذه الأرض الإسلامية وتخليصها من قبضة الغاصبين، وإرجاعها لتحكم بالإسلام وشريعته الغراء.

آثار الفتح الإسلامي لفلسطين

لقد كان للفتح الإسلامي لفلسطين أثر كبير في زيادة قدسية المسجد الأقصى، واستقرار الحياة العامة في بلاد فلسطين، حيث استقرت الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

أولاً : المكانة التي تمتع بها المسجد الأقصى في الإسلام.

احتل المسجد الأقصى في نفوس المسلمين مكانة مرموقة منذ أن كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم يتوجهون في الصلاة إليه، ومنذ أن شرع

(١) د. وهبة الزحيلي : آثار الحرب في الفقه الاسلامي - دار الفكر بدمشق ط ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ص ١٦٩.

(٢) د. مصطفى وصفي : مصنفه النظم الاسلامية - مكتبة وهبة بالقاهرة ط ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م ص ٢٨٧.

النبي صلى الله عليه وسلم ببيان بعض الأحكام الخاصة به . ولذلك سارع عمر رضي الله عنه إلى تنظيف الصخرة بعد الفتح مباشرة ، فأزال الأوساخ التي كان النصارى يلقونها عليها ، نكايه في اليهود الذين كانوا يصلون إليها ، وقام عبد الملك بن مروان بتجديد بناء المسجد الأقصى وبناء قبة الصخرة ، وقد حرص المسلمون على أن يكون المسجد الأقصى عامراً بالمصلين ، ومفتوحاً لجميع الزائرين من المسلمين .

أ - الأحكام الخاصة بالمسجد الأقصى .

١ - استحباب زيارته وشد الرحال إليه .

اتفق علماء المسلمين على استحباب زيارة المسجد الأقصى للعبادة المشروعة فيه : كالصلاة والدعاء والذكر وقراءة القرآن والاعتكاف والصوم ، لما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا ، ومسجد الحرام ، ومسجد الأقصى »^(١) وفي رواية : « تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد »^(٢) .

وفي رواية ثالثة : « إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد : الكعبة ، ومسجدي هذا ، ومسجد إيلياء »^(٣)

فالحديث يدل على فضل هذه المساجد الثلاثة ومزيتها على غيرها ، ولكونها مساجد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، فهم الذين بنوها ودعوا الناس إلى زيارتها للعبادة والصلاة فيها ، فإبراهيم عليه السلام هو الذي بنى الكعبة ، وسليمان عليه السلام بنى المسجد الأقصى ، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم بنى المسجد النبوي ، ولم يبن أحد من الأنبياء مسجداً ودعا الناس إلى زيارته للعبادة ، إلا هذه المساجد الثلاثة . ولهذا لا يجوز تغيير واحد من هذه المساجد الثلاثة عن موضعه .^(٤)

(١) صحيح البخارى مع العيني ٢٥١/٧ ، صحيح مسلم مع النووي ١٦٨/٩ مستند أحمد ٢٣٤/٣ .

(٢) صحيح مسلم مع النووي ١٦٨/٩ .

(٣) نفس المرجع .

(٤) أنظر : ابن تيمية : مجموع الفتاوى ٣٥٣/٢٧ .

ومما يؤيد استحباب زيارة المسجد الأقصى : ما روى الحاكم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم «أن سليمان عليه السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله خلافاً ثلاثاً، فأعطاه اثنتين، وأرجوا أن يكون أعطاه الثالثة : سأل ملكاً لا ينبغي لأحد بعده، فأعطاه إياه، وسأل حكماً يواظي حكمه، فأعطاه إياه، وسأله من أتى هذا البيت لا يريد إلا الصلاة فيه أن يخرج من الذنوب كيوم ولدته أمه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا أرجوا أن يكون قد أعطاه الثالثة»^(١).

قال ابن تيمية : «وقد كان ابن عمر رضي الله عنه، يأتي إليه فيصلي فيه، ولا يشرب فيه ماء لتصيبه دعوة سليمان ، لقوله «لا يريد إلا الصلاة فيه» فإن هذا يقتضي إخلاص النية في السفر إليه ، ولا يأتيه لغرض دنيوي أو بدعة»^(٢).

مايراعى في زيارة بيت المقدس

وينبغي للزائر أن لا يقبل أو يستلم أو يتمسح بقبر من قبور الأنبياء ولا غيرهم ، ولا صخرة بيت المقدس ، ولا يصلي عند قبر من قبور الأنبياء ، أو مقام من مقامات الصالحين .

وينبغي أن يعلم : أن السفر الى بيت المقدس بعد الحج ليس بقربة ، وقول القائل : تقدس الحجة قول باطل لا أصل له .

وينبغي أن يعلم أن زيارة معابد الكفار : ككنيسة القيامة أو كنيسة المهد للعبادة منهي عنها .

قال ابن تيمية : «ومن زار مكاناً من هذه الأماكن معتقداً أن زيارتها مستحبة والعبادة فيها أفضل من العبادة في بيته ، فهو ضال خارج عن شريعة الإسلام ، يستتاب فإن تاب وإلا قتل»^(٣).

(١) مر تخريج الحديث . وهو حديث صحيح .

(٢) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ٦/ ٢٧ .

(٣) المرجع السابق ١٤/ ٢٧ .

١ - فضل الصلاة في المسجد الأقصى .

حينما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس ، دخل المسجد الأقصى وصلى فيه ، ثم التفت فإذا النبيون أجمعون يصلون معه .^(١) ولما فتح عمر بن الخطاب بيت المقدس سأل كعب الأحبار عن المكان الذي يصلى فيه فقال : إن أخذت عني صليت خلف الصخرة : فكانت القدس كلها بين يديك ، فقال عمر : ضاهيت اليهودية ، ولكن أصلى حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم إلى القبلة فصلى .^(٢)

وقد ورد في مضاعفة الصلاة في المسجد الأقصى عدة أحاديث منها :
أ - روى الطبراني عن ميمونة بنت سعد قالت : يارسول الله ، أفتنا في بيت المقدس ، قال : أرض المحشر ، وأرض المنشر ، اتئوه فصلوا فيه ، فإن صلاة فيه كآلف صلاة . قلنا : يارسول الله ، فمن لم يستطع أن يتحمل إليه؟ قال : من لم يستطع أن يأتيه فليهد إليه زيتاً يسرج فيه ، فإن من أهدى إليه زيتاً كان كمن أتاه .
قال الهيثمي : روى أبو داود قطعة منه في حديث ميمونة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم ، ورواه أبو يعلى بتمامه من حديث ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم - والله أعلم - ورجاله ثقات .^(٣)

فالحديث يدل : على أن الصلاة في المسجد الأقصى أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام والمسجد النبوي ، فالصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة .^(٤) ، والصلاة في المسجد النبوي بألف صلاة^(٥) ، كما يدل الحديث على استحباب إهداء الزيت له عند عدم القدرة على زيارته : ويقصد بذلك تقديم العون المادي للأسهام في إعمارهِ أو إصلاح أوضاعه .
ب - وروى الطبراني والبخاري عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه

(١) مسند الامام أحمد ١/٢٥٧

(٢) الهيثمي : مجمع الزوائد ٦/٤

(٣) نفس المرجع

(٤) الجراعي : تحفة الراعي والساجد في أحكام المساجد المكتب الاسلامي بيروت ط ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ص ١٣٨ .

(٥) نفس المرجع .

وسلم: «الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة ، والصلاة في مسجدي بألف صلاة، والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة» رواه الطبراني في الكبير، ورجاله ثقات وفي بعضهم كلام ، وهو حديث حسن. ^(١)

فالحديث يدل على أن الصلاة في المسجد الأقصى أفضل من خمسمائة صلاة فيما سواه من المساجد، إلا المسجد الحرام، والمسجد النبوي. قال ابن تيمية: والصواب في الأقصى بخمسمائة. ^(٢)

جـ - روى ابن ماجه في سننه من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صلاة الرجل في بيته بصلاة، وصلاته في مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة، وصلاته في المسجد الذي يجمع فيه بخمسمائة صلاة، وصلاته في المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة، وصلاته في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة» وهو حديث ضعيف؛ لأن في إسناده أبا الخطاب الدمشقي، وهو لا يعرف. ^(٣)

مما سبق يتبين : أن أصح الأحاديث الواردة في فضل الصلاة في المسجد الأقصى هما : الحديث الأول والثاني، وهما يدلان دلالة واضحة على فضل ثواب المصلي في المسجد الأقصى. وقد كان المسلمون يتسابقون إلى الصلاة فيه من جميع بقاع الأرض، طمعا في رضا الله ومثوبته، دون أن يضع الواحد منهم نصب عينيه رقما معيناً، لأن الله تعالى يضاعف الحسنة الواحدة أضعافا مضاعفة ، ولا يقف بالأجر والثواب عند رقم معين ، ولأن العدد لا مفهوم له كما هو مقرر في أصول الفقه، وإنما المقصود أن الأجر فيها عظيم، والثواب فيها كبير - والله أعلم -

٣) استحباب الإحرام من المسجد الأقصى بالحج والعمرة.

أ - روى أبو داود قال : حدثنا أحمد بن صالح ، ثنا ابن أبي فديك ، عن عبد الله بن

(١) الهيتمي : مجمع الزوائد ٧/٤

(٢) الجراعي : تحفة الراعي والساجد ص ١٨٠

(٣) نفس المرجع .

عبد الرحمن بن يُحْنَس، عن يحيى بن أبي سفيان الأخنسي، عن جدته حكيمة، عن أم سلمة - زوج النبي صلى الله عليه وسلم : أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «من أהלَّ بحج أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، أو وجبت له الجنة» شك عبدالله أيتها^(١).

ب - روى الإمام أحمد - بسنده - إلى أم سلمة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «من أحرم من بيت المقدس غفر له ما تقدم من ذنبه»^(٢)

ج - وروى ابن ماجه - بسنده - عن أم سلمة أيضاً قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من أהלَّ بعمرة من بيت المقدس كانت كفارة لما قبلها من الذنوب»^(٣)

د - وقد عمل بمقتضى هذه الأحاديث جماعة من الصحابة والتابعين وسلف الأمة : ومن هؤلاء ابن عمر، ومعاذ بن جبل، وكعب الأحمري، ووكيع وغيرهم. روى المقدسي في فضائل القدس - بسنده - عن نافع عن ابن عمر «أنه أحرم عام الحكمين من بيت المقدس» وفي رواية أخرى عن سالم عن ابن عمر «أنه أحرم بالعمرة في بيت المقدس»^(٤)

قال ابن حزم : «صح عن ابن عمر أنه أحرم من بيت المقدس»^(٥)
وقال ابن المنذر : «وثبت أن ابن عمر أהלَّ من إيلياء - وهو بيت المقدس»^(٦)
وروى ابن حزم - بالسند - عن عبدالله بن أبي عمار : أنه كان مع معاذ ابن جبل وكعب الخير : فأحرما من بيت المقدس بعمرة، وأحرم معهما^(٧).
وذكر أبو داود في سننه عن وكيع : «يرحم الله وكيعاً» أحرم من بيت المقدس يعني

(١) سنن أبي داود ١٤٤/٢، البيهقي : السنن الكبرى ٣٠/٥

(٢) مسند الإمام أحمد ٢٩٩/٦.

(٣) سنن ابن ماجه - مطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م ٩٩٩/٢

(٤) ضياء الدين المقدسي : فضائل بيت المقدس - دار الفكر بدمشق ط ١٩٨٥ ص ٨٩

(٥) ابن حزم : المحلى - مكتبة الجمهورية بالقاهرة ١٣٨٨هـ - ٧٢/٧

(٦) النووي : المجموع شرح المذهب ١٧٢/٧، العراقي : طرح التثريب في شرح التقريب ٦/٥

(٧) ابن حزم : المحلى ٧٣/٧

إلى مكة»^(١).

وروى الإمام أحمد في مسنده : أن أم حكيم ابنة أمية بن الأخنس ، ركبت إلى بيت المقدس ، حتى أهلت منه بعمره.^(٢)

آراء الفقهاء في هذه المسألة

أجمع العلماء على جواز تقديم الإحرام للحج والعمرة عن الميقات المكاني، وقد نقل الإجماع كثير من العلماء : منهم : ابن المنذر، والخطابي، فقال ابن المنذر : «أجمع أهل العلم : على أن من أحرم قبل أن يأتي الميقات فهو محرم»^(٣) ولم يخالف في ذلك إلا داود، وتبعه ابن حزم حيث قال : «فإن أحرم من شيء من هذه المواقيت وهو يمر عليها فلا إحرام له، ولا عمرة له، إلا أن ينوي إذا صار في الميقات تجديد إحرام، فذلك جائز، وإحرامه حينئذ تام، وحجه تام، وعمرته تامة»^(٤) ولكن قوله هذا مردود - كما قال النووي وغيره - بإجماع من قبله من العلماء.^(٥)

وأختلفوا في أيهما أفضل : أن يحرم من الميقات، أم يُقَدَّم الإحرام عن الميقات كأن يحرم من دُويرة أهله، أو من بيت المقدس أو نحوه ؟ فذهب الحنفية وبعض الشافعية : إلى أن الأفضل تقديم الإحرام عن الميقات ، فله أن يحرم من دويرة أهله أو من بيت المقدس، لأنه أكثر تعظيماً وأوفر مشقة - والأجر على قدر المشقة - كما استدلوا بأحاديث الإهلال من بيت المقدس السابقة، وبفعل جماعة من الصحابة والتابعين وسلف الأمة ، كابن عمر، ومعاذ، وكعب ، وغيرهم.^(٦)

وذهب المالكية والحنابلة وبعض الشافعية : إلى أن الأفضل الإحرام من

(١) سنن أبي داود ١٤٤/٢

(٢) مسند الامام أحمد ٢٩٩/٦

(٣) العراقي طرح التريب ٦/٥ ، ابن قدامة : المغنى ٢٦٤/٣

(٤) ابن حزم : المحلى ٦٣/٧

(٥) النووي : المجموع ١٨٢/٧ ، العراقي : طرح التريب ٦/٥

(٦) حاشية ابن عابدين ٤٧٨/٢ ، الزركشي : أعلام الساجد بأحكام المساجد ص ٢٨٩

الميقات ، ويكره الإحرام من دُورة أهله ، أو من بيت المقدس ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم كانوا لا يجرمون إلا من الميقات ، وهم لا يفعلون إلا الأفضل .^(١)

مناقشة واختيار

لقد ناقش الفريق الثاني أحاديث الإهلال بالحج والعمرة من بيت المقدس ، فضعفها بعض العلماء ، وحملها البعض الآخر على معنى آخر .
أما الذين ضعفوها فقالوا : إن رواية أبي داود فيها ابن أبي فديك ، ويحيى بن أبي سفيان الأخنسي ، قال ابن سعد : ابن أبي فديك ليس بحجة^(٢) ، وقال ابن حزم وغيره : يحيى بن أبي سفيان الأخنسي مجهول .^(٣)
ويجيب عن ذلك : بأن ابن أبي فديك ثقة ، ويحتج به في الكتب الستة ، قال فيه النسائي : ليس به بأس ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال ابن معين : ثقة^(٤) وأما الأخنسي فهو : شيخ من شيوخ المدينة ، ذكره ابن حبان في الثقات ، قال الذهبي : وثق^(٥) .

فرواية أبي داود يمكن الاحتجاج بها والاعتماد عليها .
أما حديث رواية أحمد : ففي سندها ابن لهيعة^(٦) ، وفيه مقال معروف .
وأما الذين حملوها على معنى آخر فمنهم : القاضي أبويعل الحنبلي حيث قال : إن معنى أهل أي قصده^(٧) ، فيكون معنى الحديث قصد المسجد الأقصى لينطلق منه إلى مكة المكرمة ، ولا يحرم إلا من الميقات ، ويجيب على ذلك : بأن بعض الروايات صرحت بالإحرام ، فلا يحمل الحديث على غير ذلك .

(١) ابن جزى : قوانين الاحكام ص ١٤٩ ، ابن قدامة : المغني ٢٦٥/٣ ، ابن مفلح المبدع ١١٣/٣ الجراعي : تحفة الراجع والساجد ص ١٨٨ ، النووي : المجموع ١٧٩/٧ ، العراقي : طرح الشريب ٦/٥ .

(٢) ابن مفلح : المبدع ١١٣/٣ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٦١/٩

(٣) ابن حزم : المحلى ٧٤/٧

(٤) ابن مفلح : المبدع ١٣/٣ ، ابن حجر تهذيب التهذيب ٦١/٩

(٥) الشوكاني : نيل الأوطار ٣٣٣/٤ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ٢٢٤/١١ ، المناوي : فيض القدير ٩١/٦

(٦) الجراعي : تحفة الراجع ص ١٨٨

(٧) ابن مفلح : المبدع ١١٣/٣ ، الجراعي : تحفة الراجع ص ١٨٨

وبناء على ما سبق فإنه يمكن العمل برواية أبي داود ، فيكون للإحرام من بيت المقدس بالحج أو بالعمرة فضيلة خاصة : وهي غفران الذنوب وتكفيرها ، لأنه قصد الوصل بين أشرف البقاع : بيت المقدس ، ومكة المكرمة . والجمع بين الصلاة في أفضل المساجد : المسجد الأقصى ، والمسجد الحرام - بإحرام واحد . قال ابن قدامة : « ويحتمل اختصاص هذا ببيت المقدس دون غيره ، ليجمع بين الصلاة في المسجدين بإحرام واحد ، ولذلك أحرم ابن عمر منه ، ولم يكن يحرم من غيره إلا من الميقات »^(١) ، وإن بقاء المسجد الأقصى في قبضة اليهود الغاصبين في الوقت الحاضر يحول دون تمكن المسلمين من تطبيق هذا الحكم . ولذا فيجب على المسلمين أن يعملوا على تحريره ، وتخليصه من قبضة الغاصبين ، ليعود الى وضعه الطبيعي ، ويتمكن المسلمون في جميع بقاع الأرض من أداء نسكهم ، كما أرشد إليه رسولنا الكريم في الحديث .

٤ - تضاعف فيه السيئات كما تضاعف الحسنات .

حكى عن بعض السلف أن السيئات تضاعف في بيت المقدس كما تضاعف الحسنات ؛ وذلك لشرف المكان وتعظيمه .

روى أبو بكر الواسطي عن نافع قال : قال ابن عمر - ونحن في بيت المقدس : « يانافع ، اخرج بنا من هذا البيت ، فإن السيئات تضاعف فيه كما تضاعف الحسنات »^(٢) وروى عن كعب الأحبار أنه كان يذهب من حمص إلى بيت المقدس للصلاة فيه ، فإذا صار منه قدر ميل اشتغل بالذكر والتلاوة والعبادة حتى يخرج عنه ، بقدر ميل أيضا ، ويقول : « السيئات تضاعف فيه »^(٣) وروى ابن الجوزي عن إسماعيل بن عياش ، قال : سمعت جرير بن عثمان ، وصفوان بن عمرو ، يقولان : « الحسنة في بيت المقدس والسيئة بألف »^(٤)

وقيل : إن السيئات لا تضاعف في الأماكن المعظمة لعموم قوله تعالى : « وَمَنْ

(١) ابن قدامة : المغنى ٣/ ٢٦٥

(٢) الزركشي : اعلام الساجد ص ٢٩٠ ، ابن الجوزي : فضائل القدس ص ٩١ .

(٣) الزركشي : المرجع السابق .

(٤) ابن الجوزي : المرجع السابق .

جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ»^(١) ولما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى، قال : «ان الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله عز وجل عنده عشر حسنات، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، وإن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة»^(٢)

وتحقيق القول في هذه المسألة أن المضاعفة تقع على العقوبة ومق دارها، لا على كمية السيئات وعددها، فالمقترف لعشر سيئات في بيت المقدس تسجل عليه عشر سيئات، ولكن العقوبة تغلظ، لشرف المكان وتعظيمه، فإن من عصى الملك على بساط ملكه ليس كمن عصاه في موضع بعيد. فإن قيل : لافرق بين مضاعفة كمية السيئات وعددها ومضاعفة العقوبة وتغليظها.

يقال : إنه جاء : أن من زادت حسناته على سيئاته في العدد دخل الجنة، ومن زادت سيئاته دخل النار، ومن استوت حسناته وسيئاته عدداً كان من أهل الأعراف. فيكون للمضاعفة في العقوبة دون المضاعفة في عدد السيئات معنى. وهو : عدم رجحان السيئات على الحسنات عند الذين يسكنون بيت المقدس، إذا كان عدد الحسنات أكثر من السيئات.

٥ - فضل مجاورة المسجد الأقصى.

ذهب كثير من العلماء إلى إستحباب مجاورة المسجد الأقصى^(٣)، لما يحصل فيه من الطاعات التي لا تحصل في غيره : من تضعيف الصلوات والحسنات، ولكون بيت المقدس عقر دار المؤمنين يوم اشتداد المحن والفتن، ولأن الدجال لا يدخل بيت

(١) آية ١٦٠ من سورة الانعام

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٥٠/٢.

(٣) الزركشي : اعلام الساجد باحكام المساجد ص ٢٩٠، الجراعي : تحفة الراكع والساجد في أحكام المساجد ص ١٨٨، ابن الجوزي : فضائل القدس ص ٩١.

المقدس .

وقد سكن بيت المقدس كثير من الصحابة والتابعين والصالحين ، ومن هؤلاء :

- أ - عبادة بن الصامت : الصحابي الجليل ، المجاهد الكبير ، الذي شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذي ولاه عمر رضي الله عنه قضاء حمص ، ثم انتقل إلى فلسطين ، ومات بها ، ودفن ببيت المقدس عام ٣٤ هـ^(١) .
- ب - شداد بن أوس ، بن ثابت الأنصاري : الصحابي الجليل ، ولاه عمر رضي الله عنه إمارة حمص . قال فيه عبادة بن الصامت : «وكان شداد بن أوس ممن أوتي العلم والحلم» نزل فلسطين وسكن بيت المقدس وتوفي فيها سنة ٥٨ هـ^(٢) .
- ج - أبو ربحانة شمعون الأنصاري : وهو مشهور بكنيته . له صحبة وسماع ورواية كان من الفضلاء الأخيار ، سكن بيت المقدس ومات فيها^(٣) .
- د - ذو الأصابع التميمي اليميني : صاحب النبي صلى الله عليه وسلم سكن بيت المقدس ومات فيها^(٤) .
- هـ - يعلى بن شداد بن أوس : من كبار التابعين ، أدرك زمن النبوة ، وأسلم زمن أبي بكر ، أتى بيت المقدس للصلاة فيه^(٥) .
- و - محارب بن دثار السدوسي : تابعي ، روى عن عمر وجابر وغيرهما . قال . صحبنا القاسم بن عبد الرحمن إلى بيت المقدس فغلبننا على ثلاث : قيام الليل ، والبسط في النفقة ، والكف عن الناس^(٦) .
- ز - إبراهيم بن أبي عبلة : تابعي روى عن أبي أمامة وأنس ، توفي سنة اثنتين وخمسين من الهجرة^(٧) .

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى - دار صادر بيروت ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م ٥٤٦/٣ .

(٢) المنهاجي : تحاف الاخصا بفضائل الاقصى ٢٩/٢

(٣) نفس المرجع ٢٩/٢ - ٣٠

(٤) نفس المرجع ٣٢/٢

(٥) نفس المرجع ٣٦/٢

(٦) نفس المرجع ٤١/٢

(٧) نفسه

ح - إبراهيم بن أدهم : أحد الزهاد ، ذكره ابن حبان في ثقات اتباع التابعين ، روى عن الشعبي والثوري ، وبقية بن الوليد ، أصله من بلخ ، انتقل بعد أن تاب وترك الإمارة إلى الشام ، طلباً للحلال ، وأقام بها مرابطاً غازياً على الجهد الجهيد ، والفقر الشديد ، والخدمة للأصحاب والسخاء الوافر والورع الدائم^(١)

ط - الإمام محمد الطرطوشي الفهري المالكي : رحل إلى بلاد الشرق سنة ست وتسعين وأربعمائة وقدم بيت المقدس ، وحج وتفقه على أبي بكر الشاشي وسكن الشام ودرس بها.^(٢)

ي - الإمام أبو حامد الغزالي : حجة الإسلام الطوسي ، أقام بدمشق مدة ، ثم انتقل إلى بيت المقدس ، ورحل إلى الإسكندرية ، وأقام بها مدة ، ثم عاد إلى طرسوس . مات سنة خمس وخمسمائة.^(٣)

ك - الشيخ الزاهد أبو عبد الله الدمشقي ، محمد بن أحمد بن إبراهيم ، له كرامات ظاهرة ، ومناقب جليلة باهرة ، وأهل مصر يذكرون عنه أشياء خارقة . قدم بيت المقدس وأقام به إلى أن مات سنة تسع وتسعين وخمسمائة.^(٤)

ب - عمارة المسجد الأقصى ومسجد الصخرة وعناية الخلفاء بها .

حينما فتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيت المقدس لم يكن المسجد الأقصى المعروف الآن ، والواقع في الجهة الجنوبية من الحرم الشريف موجوداً ، كما أن مسجد الصخرة المشرفة لم يكن موجوداً حينئذ . وإنما الموجود المكان الذي أحيط بالسور بها فيه من ساحات واسعة ، والصخرة المشرفة ، وهذا هو المراد بالمسجد الأقصى في قوله تعالى : «سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»^(٥) لأن المسجد شرعاً يطلق على كل

(١) المرجع السابق ٤٧/٢

(٢) المرجع السابق ٥٤/٢

(٣) نفسه

(٤) نفس المرجع ٥٥/٢

(٥) آية : من سورة الاسراء .

موضع من الأرض لقوله صلى الله عليه وسلم «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»^(١)، وعرفاً يطلق على المكان المهيء للصلوات الخمس، وأما المصلى فينطلق على المكان المخصص لاجتماع الأعياد ونحوها، ولأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حينما كان في بيت المقدس سأل كعب الأحبار عن مكان يبنى فيه المسجد، فقال كعب : خلف الصخرة - ليجمع المصلى بين القبلتين - فقال عمر رضى الله عنه لكعب : لقد خالطتك يهودية ، بل نبنيه أمامها، فبناه في قبلي المسجد^(٢) وبذلك يتبين : أن أول من بنى المسجد الأقصى في الإسلام هو : عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وقد اتفق المؤرخون : على أن عمر بن الخطاب قد أقام مسجداً متواضعاً وصغيراً في الجزء الجنوبي من الحرم القدسي، بالقرب من المكان الذي يقال : إن الرسول صلى الله عليه وسلم قد ربط به البراق ليلة الاسراء والمعراج.^(٣)

وفي عهد عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦هـ) بُني مسجد الصخرة المشرفة وهو من أعظم الآثار الإسلامية في فلسطين وتعتبر قبته من أعظم العمارات الإسلامية في الجمال والفخامة وإبداع الزخرفة، كما تمتاز ببساطة التصميم، وتنسيق الأجزاء، تمّ بناؤها في (٧٢هـ) ، قال ابن بطوطة في وصفها : «وهي من أعجب المباني وأتمنها وأغربها شكلاً، وقد توفر حظها من المحاسن، وأخذت من كل بديعة بطرف، وهي قائمة على نُشز في وسط المسجد، يصعد إليها في درج رخام، ولها أربعة أبواب، والدائر بها مفروش بالرخام أيضاً محكم الصنعة، وكذلك داخلها . وفي ظاهرها وباطنها من أنواع الزواقة (الزينة) ورائق الصنعة ما يعجز الواصف، وأكثر ذلك مغشى بالذهب، فهي تتلأأ نوراً وتلمع لمعان البرق، يحار بصر متأملها في محاسنها، ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها ، وفي وسط القبة الصخرة الكريمة التي جاء ذكرها في الآثار، فإن النبي صلى الله عليه وسلم عرج منها إلى السماء، وهي صخرة صماء ارتفاعها نحو قامة، وتحتها مغارة في مقدار بيت صغير : ارتفاعها نحو قامة أيضاً، ينزل إليها على درج ، وهنالك شكل محراب، وعلى الصخرة شباكان اثنان محكما

(١) رواه الامام أحمد في مسنده ٢/ ٢٢٢ .

(٢) الجراعي : تحفه الساجد ص ١٨٢

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٧٢ . ابن خلدون : المقدمة ص ٣١٠ .

العمل ، يغلقان عليها ، أحدهما وهو الذي يلي الصخرة ، من حديد بديع الصنعة ، والثاني من خشب ، وفي القبة ورقة كبيرة من حديد معلقة هنالك ، والناس يزعمون : أنها ورقة حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه^(١)

وقد ذهب اليعقوبي : إلى أن عبد الملك بن مروان قصد من عنايته الفائقة ببناء قبة الصخرة صرف أهل الشام عن الذهاب لزيارة الكعبة المشرفة والحج إلى بيت الله الحرام^(٢) ، لئلا يلتقوا بعبد الله بن الزبير الذي خرج على عبد الملك ، واعتصم بمكة ، وبايعه أهل العراق والحجاز .

ويبدو أن هذه الرواية من وضع منافسى بني أمية ، فقد ذكرها اليعقوبي في تاريخه ، ولم يذكرها غيره من المؤرخين ، واليعقوبي ينتسب إلى العباسيين ، وموقفه معروف من بني أمية . وليس من المعقول أن يقوم عبد الملك - الذي كان من التابعين الورعين - بمحاولة لتغيير موقع أحد أركان الإسلام ، وهو : الحج .

والمنصف من المؤرخين يرى : أن السبب في بناء قبة الصخرة هو : رغبة عبد الملك بن مروان بناء مسجد للمسلمين ، يضاهي في جماله وروعته وحسن تنسيقه ما لكنائس النصارى من الروعة ، ولا سيما كنيسة القيامة . وفي ذلك يقول المقدسي : «إنه - أي عبد الملك - عندما رأى قبة كنيسة القيامة - وكان المسيحيون يحجون إليها من كل صوب ، خشي أن تؤثر بفخامتها وروعته على قلوب المسلمين ، فاعتزم أن يبني في القدس قبة مثلها ، أو أحسن منها وفعل»^(٣)

وقد كانت قبة الصخرة موضع التقدير والعناية والاهتمام من جميع الخلفاء والحكام المسلمين ، فهم يسارعون في ترميمها وصيانتها إذا ما ظهر فيها أي تصدع ، فقد سارع بترميمها عبد الملك بن مروان بعد تصدعها إثر الزلزال الذي حدث سنة (٨٦هـ) ، كما تولى إصلاحها الخليفة العباسي عبد الله المأمون ، وأمر الخليفة الحاكم بأمر الله بالإسراع بترميمها إثر زلزال سنة (٤٠٧ هـ) ، وبعد أن حرر صلاح الدين بيت المقدس سنة (٥٨٣ هـ) سارع إلى إزالة آثار العدوان الصليبي من صور وتماثيل ونقوش وثنية وغير ذلك .^(٤)

(١) رحلة ابن بطوطة ص ٥٨

(٢) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي - دار صادر بيروت ٢٦١/٢

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٦٦

(٤) محمد كرد على : خطط الشام ١٣٩/١

وقد سجل في نقوش أسفل رقة القبة أسماء سلاطين دولة المماليك الذين قاموا بصيانة قبة الصخرة مثل بيبرس الأشرف ، والملك العادل كتبغا ، والناصر محمد بن قلاوون . كما أوقف الملك الأشرف برسباي سنة (٨٣٦ هـ) بعض الحبوس والأملاك على قبة الصخرة ، وكذلك قدم الملك الظاهر جقمق سنة (٨٥٢ هـ) إلى ناظر الحرم القدسي ألفين وخمسمائة دينار ذهب ، ومائة وعشرين قنطاراً من الرصاص ، لعمارة قبة الصخرة من الخارج ، وفي عهد السلطان الأشرف قايتباي سنة (٨٧٢ هـ) صنعت الأبواب النحاسية للمداخل الرئيسية لقبة الصخرة . وفي عهد السلطان سليمان القانوني العثماني كُسيَ جدار القبة من الخارج بالرخام وبلاط القاشاني . وقد لقيت قبة الصخرة عناية فائقة من سلاطين آل عثمان ، كالسلطان محمود ، وعبد المجيد ، وعبد الحميد ، وعبد العزيز ، وعبد المجيد الثاني وغيرهم .^(١)

وأما المسجد الأقصى المعروف اليوم فقد شرع عبد الملك بن مروان في بنائه بعد أن أتم قبة الصخرة ، ولكنه لم يتم إلا في عهد ابنه الوليد حتى ، قيل : هو الذي بناه . ويصفه المقدسي وغيره من المؤرخين : بأنه طويل عريض ، وطوله أكثر من عرضه ، وهو في غاية الحسن والإحكام ، مبني على أعمدة من الرخام ، ملون بالفسيفساء التي ليس في الدنيا أحسن منها .^(٢)

وقد حظى المسجد الأقصى بعناية الخلفاء والحكام المسلمين منذ بنائه ، فوقفوا الأوقاف عليه ، وسارعوا إلى ترميم ما تصدع منه ، وأعادوا بناء ما تهدم . فقد روى إبراهيم بن أبي عبلة أنه قال : «رحم الله الوليد ، وأين مثل الوليد !! افتتح الهند والأندلس ، وبنى مسجد دمشق ، وكان يعطيني قطع الفضة أقسمها على قراء مسجد بيت المقدس»^(٣) ، وفي سنة (١٥٤ هـ) زار المنصور بيت المقدس فطلب أهل بيت المقدس منه ترميم ما أصاب المسجد الأقصى من خراب بسبب الزلزال الذي أصاب البلاد سنة (١٣٠ هـ) ، ولعدم توفر المال اللازم لذلك لديه أمر بنزع الصفائح الذهبية والفضية التي كانت ملبسة على الأبواب وضربت نقوداً وانفقت على تعمیر المسجد الأقصى^(٤) . وعندما زاره الخليفة المهدي سنة (١٦٣ هـ) طلب أهل بيت المقدس

(١) العابدي : الآثار الإسلامية في فلسطين والأردن ص ٩٣

(٢) ياقوت : معجم البلدان ١٩٨/٥

(٣) السيوطي : تاريخ الخلفاء ٣٥٦ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ٣٧/٥ .

تعمير ما خرب منه بسبب الزلزال الذي أصاب البلاد بعد ترميم المنصور له، فأعاد المهدي بناءه، ثم توالى يد الترميم والرعاية للمسجد الأقصى طوال العهود الإسلامية ولم تتوقف هذه الأعمال إلا في عهد الاحتلال الصهيوني سنة (١٩٦٧م) بسبب العقبات التي وضعت في طريق المقاولين والمعماريين القائمين بالعمل، هذا فضلاً عن أعمال التنقيب والحفر التي قام بها الأثريون الإسرائيليون بجوار الحرم الشريف؛ مما هدد جميع المقدسات بالتصدع والسقوط.

ثانياً - استقرار الحياة العامة في بيت المقدس وما حوله في ظل الحكم الإسلامي .

لقد شهدت مدينة بيت المقدس قبل الفتح الإسلامي لها ثورات ومؤامرات وحروب مدمرة، ومعارك طاحنة، ففي سنة (٥٥٨ ق.م) استولى عليها ملك بابل، فقام الجيش بإحراقها وتدميرها ونهبها، وفي سنة (٥٣٨ ق.م) تعرضت مدينة بيت المقدس لغزو الفرس وفي سنة (٣٣٢ ق.م) تعرضت لغزو الاغريق بقيادة الإسكندر المقدوني، وأبقى الوضع على ما هو عليه من قبل، وتجاوزها إلى مصر. ولما انتقل حكم البطالمة المقدونيين إلى السلوقيين - تعرضت مدينة بيت المقدس إلى ثورة يهودية استمرت عدة سنوات، بقيت البلاد خلالها في فوضى وقلق داخلي إلى أن تمكن «مكابوس» من ضبط زمام الأمور في سنة (١٦٣ ق.م) وفي سنة (٦٣ ق.م) تعرضت البلاد للغزو الروماني بقيادة «بومبي» فقام بتحطيم أسوار القدس وتخريبها، وفي سنة (٤٠ م) تعرضت المدينة للغزو الفارسي للمرة الثانية، فقام اليهود بثورة استمرت خمس سنوات^(١) . . . وهكذا فإن الثورات لم تهدأ والحروب لم تضع أوزارها في تلك المدينة المقدسة إلى أن تم فتحها على يد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واستظلت بظل الحكم الإسلامي سنة (١٦ هـ - ٦٣٦ م) فتمتعت بالهدوء والاستقرار طيلة ثلاثة عشر قرناً، باستثناء فترة الحروب الصليبية (٤٩٣ - ٥٨٣ هـ / ١٠٩٩ م - ١١٨٧ م) لقد هدأت الثورات ووضعت الحرب أوزارها في تلك المدينة، وحظيت بالأمن والأمان، وأصبحت المكان الآمن لكل من يلوذ إليها، فلما زار برنارد الحكيم

(١) انظر : ظفر الاسلام خان : تاريخ فلسطين القديم ٢٣ - ١٣٤، مصطفى الدباغ - بلادنا فلسطين ص ٣٠ - ٧٧، اسحق موسى الحسيني : عروبة بيت المقدس ص ٩ - ١٧ .

القدس عام (٨٧٠م) تحدث عن استقرارها بقوله : «إِنَّ المسلمين والمسيحيين في القدس ومصر على تفاهم تام، حتى إنني إذا سافرت ونفق في الطريق جملي أو حماري، وتركت أمتعتي مكانها، وذهبت لاكتراء دابة من البلدة المجاورة، عدت فوجدت كل شيء على حاله لم تمسه يد، فقانون الأمن العام في تلك الديار يقضي على كل مسافر بالليل أن يكون بيده وثيقة تبين هويته، فإذا عَدِمَهَا رُجَّ في السجن، حتى يُحقق في أمره ويتضح قصده»^(١).

وقال المقدسي في وصفها : «إنك لا ترى فيها بخساً ولا تطفيفاً ولا شراً ظاهراً ولا سكران، ولا بها دور فسق»^(٢).

وقد شهدت بيت المقدس في ظل الحكم الإسلامي نشاطاً علمياً واسعاً، فتأسست فيها المدارس والمساجد والمستشفيات، وهرع إليها العلماء من كل مكان، حتى أصبحت هذه المدينة دارة العلم والعلماء^(٣). وقد خرجت بيت المقدس أسرة آل قدامة التي تركت أثرها الواضح في تاريخ الفكر الإسلامي، والتي رحلت من جماعيل واستقرت في الصالحية بدمشق، وأخرجت من العلماء ما يزيد عن (١١٥) عالماً بين رجال ونساء، على امتداد ثلاثة قرون ونصف منهم :

الحافظ الامام عبد الغني بن عبد الواحد بن سرور الجماعيلي المقدسي (ت ٦٠٠هـ) ولد في جماعيل سنة (٥٤١ هـ)، وانتقل إلى دمشق صغيراً، ثم رحل إلى بغداد ومصر والإسكندرية وسمع الحديث من الحافظ السلفي وغيره، حتى أصبح حافظ الوقت ومحدثه، واشتهر بكثرة التصانيف : كعمدة الأحكام من كلام خير الأناس، والكمال في أسماء الرجال، والنصيحة في الأدعية الصحيحة وغيرها، توفي بمصر سنة ستمائة للهجرة^(٤).

وضياء الدين محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي (ت ٦٤٣ هـ) : ولد في دمشق وبنى فيها المدرسة الضيائية، من مؤلفاته : سبب هجرة المقداسة إلى دمشق،

(١) زياد نقولا : رواد الشرق العربي في العصور الوسطى ص ٥٥ نقلاً عن بلادنا فلسطين ص ١٣٠.

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٧٧

(٣) انظر : د. عبد الجليل المهدي : المدارس في بيت المقدس . مكتبة الأقصى ١٩٨١ م.

(٤) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة - مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ٢/٥

والأحاديث المختارة وفصائل الشام وغيرها.^(١)

وعبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (٦٣٠ هـ) : ولد في سنة (٥٤١ هـ) بجماعيل ، وقدم دمشق مع أهله وله عشر سنين ، صاحب كتاب المغنى في الفقه^(٢) .

وجمال الدين يوسف بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي (٩٠٩ هـ) صاحب التصانيف الكثيرة والتي بلغت أكثر من ستمائة مصنف.^(٣)

وعبد الغني بن اسماعيل بن عبد الغني النابلسي (١١٤٣ هـ) : صاحب كتاب الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية . والذي جاء فيه (وقد زرنا في تلك القرية - يعنى جماعيل - ديار أجدادنا بنى قدامة الذين هاجروا من تلك البلاد، وجاءوا إلى دمشق وسكنوا بالصالحية في ذيل جبل قاسيون . .)^(٤) .

وعائشة بنت محمد بن عبد الهادي المقدسي (٨١٦ هـ) ، سيدة المحدثين في عصرها بدمشق ، روى عنها ابن حجر العسقلاني ، وقرأ عليها كتباً كثيرة ، وانفردت في آخر عصرها بعلم الحديث ، قال الصفدي : كانت أسند أهل الأرض في عصرها.^(٥)

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ١٣/ ١٦٩ .

(٢) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة - مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م ٢/ ١٣٣ .

(٣) انظر : «ابن عبد الهادي وأثره في الفقه الاسلامي» - رسالة دكتوراه للمؤلف مطبوعة على الآلة الكتابة .

(٤) الحضرة الانسية في الرحلة القدسية - مكتبة القاهرة ١٩٧١ م ص ١١ .

(٥) محمد بن طولون : القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية تحقيق محمد دهمان نشره مكتب الدراسات الاسلامية بدمشق ١٩٤٩ م ص ٣١٠ .

الخاتمة

هذه هي الخصائص العامة لبيت المقدس وما حوله، حاولت جهدي إبرازها بصورة واضحة جلية ومدعمة بالأدلة الثابتة القوية، وعرضت خلالها الأحكام والمسائل الفقهية الخاصة ببيت المقدس، عرضاً يعتمد على الاستدلال والتحقيق، ويتضح من هذا البحث الأمور التالية :

١ - إن أرض بيت المقدس وما حوله مباركة، أثبت الله فيها الخير الإلهي كثبوت الماء في جوف الأرض، فهي جنة الله في أرضه من الناحية المادية، وهي دار الأنبياء والصالحين أحياء وأمواتاً، وهي أرض المحشر والمنشر في آخر الزمان، تضاعف فيها الحسنات، وتنمو بها الأجور، ويحرص الصالحون على زيارتها وسكنائها، فينبغي أن تكون طريقها سالكة، والسبل المؤدية إليها مأمونة، وأن تزال كل العقبات التي تحول دون الوصول إليها من عدوان أو اغتصاب.

٢ - إن أرض بيت المقدس وما حوله مقدسة مطهرة من الشرك والظلم : فهي لا تتحمل الشرك المنافي للتوحيد الخالص، وهي تتأفف من وجود أمم فاسدة وعاتية، ودول ظالمة ومتعالية، ولا تمكن لتلك الأمم والدول من العيش فيها مدة طويلة، وهي تنفي حبشها كما تنفي النار خبث الفضة، وهذه صفة ثابتة ومستمرة مادامت السموات والأرض، توكل الله تعالى برعايتها، وتنفيذ وعيده بالأمم والدول الظالمة «وإنْ عُدْتُمْ عَدُنَا»^(١)، ومما لا شك فيه أن هذا الوعيد سيحقق بيهود اليوم الذين طغوا في البلاد، وأكثروا فيها الفساد، فاغتصبوا الأوطان، ودمروا البيوت على ساكنيها، وأهلكوا الحرث والنسل. قال صلى الله عليه وسلم : «تقاتلكم اليهود فُتْسَلْطُونُ عليهم، حتى يقول الحجر : يامسلم، ياعبد الله، هذا يهودي ورائي فاقتله»^(٢)، ولكن قدر الله في اليهود لا يتحقق إلا على أيدي

(١) آية : ١ من سورة الاسراء.

(٢) مر تخريجه وهو صحيح رواه الإمام مسلم في صحيحه.

ثلة من المؤمنين، الذين اعتصموا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وباعوا أنفسهم وأمواهم لله تعالى - كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث، فينبغي لمسلمي اليوم : أن يهتوا أنفسهم ، ويعدوا العدة لذلك اليوم الفاصل « وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا »^(١).

٣ - إن أرض بيت المقدس وما حوله إسلامية ، فتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحاً مادياً حينما أسرى به إليها بروحه وجسده ، وفتحها الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في السنة السادسة عشرة للهجرة، ومنذ ذلك الوقت اكتسبت صفة الإسلامية ، ودخلت في دار الإسلام وأصبحت جزءاً لا يتجزأ منها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فلا تزول عنها تلك الصفة لأي عارض من عدوان أو اغتصاب، ويجب على المسلمين : أن يدافعوا عنها بكل ما يملكون من قوة، ويعملوا على تحريرها كاملة من أيدي الغاصبين، الذين يعملون على إزالة معالم الإسلام العامة فيها، كالمساجد والأحياء القديمة، والأسواق الإسلامية وغير ذلك.

٤ - إن معرفة هذه الخصائص توجب على المسلم رفض جميع الحلول الاستسلامية المطروحة في هذا الوقت لحل القضية الفلسطينية، لأنها تتضمن التنازل الفعلي عن غالبية أرض فلسطين الإسلامية المباركة لليهود، في مقابل السلام الهزيل.

٥ - إن معرفة هذه الخصائص توجب على المسلم رفض فكرة الوطن البديل عن أرض الإسرائء والمعراج، لأنها ليست مجرد أرض عاش عليها شعب وأقام عليها كيانه، وإنما هي أرض مباركة ومقدسة، نبتت فيها عقيدة التوحيد، ونشأت عليها حضارة الإسلام ، وكل جزء منها ينبئك بتاريخ عريض، ومجد تليد : اختلط تراها الطاهر بدم الأنبياء والحواريين وسرى إليها رسولنا الكريم واستشهد فيها كثير من الصحابة والتابعين، فهي عند المسلم قضية عقيدة وحضارة ، وليست قضية أرض وتراب.

(١) آية : ٥١ من سورة الاسراء.

٦ - إن حرص الخلفاء والحكام الدائم على عمارة المسجد الأقصى وترميمه كلما أصابه شيء من التصدع أو التلف يوجب على حكام المسلمين اليوم في جميع بقاع الأرض : العمل الجاد على تحرير المسجد الأقصى من قبضة يهود، الذين يبيتون النية على إزالته من الوجود، لإقامة الهيكل مكانه .

والله أسأل أن يبعث في هذه الأمة من يجدد لها أمر دينها، فيبصرها بطريق الذين أنعمت عليهم، ويجنبها طريق المغضوب عليهم والضالين، ويسر لها طريق الجهاد والتحرير، لإقامة حكم الله في واقع البشر أجمعين .
وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت ، استغفرك، وأتوب إليك .

فهرس المراجع والمصادر

أولاً : كتب التفسير

- ١ - تفسير القرآن الكريم لأبي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٧٤ هـ) دار المعرفة بيروت .
- ٢ - الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (٦٧١ هـ) دار احياء التراث العربي بيروت - ١٩٦٥ م
- ٣ - زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (٥٩٦ هـ) المكتب الاسلامي بيروت ط ١ ١٩٦٤ م .
- ٤ - تفسير المنار - السيد محمد رشيد رضا - دار المعرفة بيروت ط ٢

ثانياً : كتب الحديث

- ٥ - تهذيب التهذيب لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر (٨٥٢ هـ) دار صادر بيروت - مصور عن طبعة دائرة المعارف العثمانية سنة ١٣٢٥ هـ .
- ٦ - جامع الأصول في أحاديث الرسول لمجد الدين أبي السعادات ابن الأثير الجزري (ت ٦٠٦ هـ) - دار البيان بدمشق ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
- ٧ - سنن ابن ماجه - لأبي عبد الله محمد بن زيد القزويني المعروف بابن ماجه (ت ٢٧٥ هـ) مطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة ١٣٧٣ هـ .
- ٨ - سنن ابي داود - لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥ هـ) دار احياء السنة المحمدية - مصور .
- ٩ - سنن الترمذي - لأبي عيسى محمد بن عيسى من سورة (٢٧٩ هـ) دار احياء التراث العربي بيروت .
- ١٠ - السنن الكبرى لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي - دار الفكر بيروت .
- ١١ - شرح النووى على مسلم ليحيى بن شرف بن مري الخوراني النووى (٦٧٦ هـ) المطبعة المصرية بالقاهرة .
- ١٢ - صحيح البخارى لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى (٢٥٦ هـ) المكتب الاسلامي باستانبول ١٩٧٩ م .
- ١٣ - صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابورى (٢٦١ هـ) طبعة ادارة البحوث العلمية بالرياض ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
- ١٤ - طرح التثريب في شرح التقريب لأبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي (٨٠٦ هـ) - دار احياء التراث العربي بيروت .

- ١٥ - عمدة القارى شرح صحيح البخارى للشيخ بدر الدين ابى محمد محمود بن أحمد العيني (٨٥٥ هـ) دار الفكر بيروت .
- ١٦ - فضائل بيت المقدس لضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي (٦٤٣ هـ) - دار الفكر بدمشق ط ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م
- ١٧ - فضائل الشام لأبى الحسن الربيعي (٤٤٤ هـ) - المكتب الاسلامي بيروت ط ١٤٠٣ هـ .
- ١٨ - فيض القدير لعبد الرؤوف المناوى (١٠٣١ هـ) - دار المعرفة بيروت ١٣٩١ هـ - ١٩٧٢ م .
- ١٩ - مجمع الزوائد للحافظ نور الدين على بن أبى بكر الهيثمي (٨٠٧ هـ) - دار الكتاب العربي بيروت .
- ٢٠ - مسند الامام أحمد لأبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (٢٤١ هـ) - دار صادر بيروت .
- ٢١ - مناقب الشام وأهله لأبى العباس تقي الدين أحمد بن تيمية (٧٢٨ هـ) المكتب الاسلامي - بيروت ط ١٤٠٣ هـ .
- ٢٢ - نيل الأوطار لمحمد بن علي الشوكاني (١٢٥٠ هـ) - مطبعة مصطفى البابى الحلبي بالقاهرة - الطبعة الأخيرة .

ثالثا : كتب الفقه

- ٢٣ - الاحكام السلطانية لأبى الحسن علي بن حبيب الماوردى (٤٥٠ هـ) مطبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة ١٩٥٨ م .
- ٢٤ - الاحكام السلطانية لأبى يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي (٤٥٨ هـ) مطبعة مصطفى البابى الحلبي بالقاهرة ط ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .
- ٢٥ - اعلام الساجد بأحكام المساجد لمحمد بن عبد الله الزركشى (٧٩٤ هـ) - طبعة المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة ١٣٨٥ هـ .
- ٢٦ - الافصاح عن معانى الصحاح ليحيى بن محمد بن هبيرة (٥٦٠ هـ) مطبعة الكيلانى بالقاهرة ١٩٨٠ م .
- ٢٧ - الأموال لأبى عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤ هـ) - مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة ط ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
- ٢٨ - البحر الزخار الجامع لمذاهب الأمصار - أحمد بن يحيى بن المرتضى الزبيدى (٨٤٠ هـ) - مؤسسة الرسالة بيروت ط ١٣٩٤ هـ .
- ٢٩ - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لعلاء الدين ابى بكر بن مسعود الكاسانى (٥٨٧ هـ) مطبعة الامام بالقاهرة ١٩٧٢ م .
- ٣٠ - در المنتقى في شرح الملتقى لمحمد بن علاء الدين الامام الحصكفى (١٠٨٨ هـ) على هامش مجمع الأنهر - دار احياء التراث العربي بيروت .

- ٣١ - تحفة الراعي والساجد لتقي الدين ابى بكر بن زيد الجراعى الخنبلى (٨٨٣ هـ) المكتب الاسلامى بيروت ط ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- ٣٢ - تحفة المحتاج لأحمد بن حجر الهيتمي (٩٧٤ هـ) .
- ٣٣ - حاشية البجيرمي على شرح المنهج للانصارى - لسليمان بن عمر بن محمد البجيرمي (القرن ١٤ هـ) المكتبة الاسلامية بتركيا .
- ٣٤ - رحمة الأمة في اختلاف الأئمة لمحمد بن عبد الرحمن الدمشقي العثاني (القرن ٨ هـ) مطبوع على هامش الميزان للشعراني - دار احياء الكتب العربية بالقاهرة .
- ٣٥ - رد المحتار على الدر المختار «حاشية ابن عابدين» لمحمد أمين الشهير بابن عابدين (١٢٥٢ هـ) - دار الفكر بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٣٧٩ م .
- ٣٦ - روضة الطالبين وعمدة المفتين ليحيى بن شرف بن مُرَى الحوراني النوى (٦٧٦ هـ) - المكتب الاسلامى بيروت ط ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- ٣٧ - شرح السير الكبير لمحمد بن أحمد السرخسى (٤٨٣ هـ) - مطبعة مصر بالقاهرة .
- ٣٨ - فتاوى ابن تيمية تصوير عن الطبعة الأولى (١٣٩٨ هـ) .
- ٣٩ - الفتاوى الهندية - للشيخ نظام الدين وجماعة من علماء الهند (١٠٧٠ هـ) دار احياء التراث العربى بيروت ط ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
- ٤٠ - قوانين الاحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية لمحمد بن أحمد بن جزى الغرناطى المالكى (٧٤١ هـ) - دار العلم للملايين بيروت .
- ٤١ - المبدع في شرح المقنع لابی عبد الله محمد بن مفلح (٧٦٣ هـ) - المكتب الاسلامى بيروت ط ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- ٤٢ - المجموع شرح المذهب ليحيى بن شرف بن مري الحورانى النوى (٦٧٦ هـ) دار العلوم للطباعة بالقاهرة ١٩٧٢ م .
- ٤٣ - المحلى لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (٤٥٦ هـ) - دار الاتحاد العربى بالقاهرة . ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
- ٤٤ - المغنى على مختصر الخرقى لابی محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة (٦٢٠ هـ) مكتبة الرياض الحديثة بالرياض .

رابعا : كتب التاريخ

- ٤٥ - اتحاف الاخصا بفضائل الاقصى لابی عبدالله محمد بن شهاب الدين أحمد بن علي المنهاجي السيوطي (٨٨٠ هـ) - الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ط ١٣٩٨ هـ .
- ٤٦ - آثار البلاد واخبار العباد لتركيا بن محمد القزويني (٦٨٢ هـ) دار صادر بيروت ودار بيروت

- ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م .
- ٤٧ - أحسن التقاسيم للمقدسي المعروف بالبشاري (٣٨٠ هـ) - مطبعة بريل ليدن ١٩٠٦ م .
- ٤٨ - البداية والنهاية لابي الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي (٧٧٤ هـ) - مكتبة المعارف - بيروت ط ٢ ١٩٧٧ م .
- ٤٩ - بلادنا فلسطين لمصطفى مراد الدباغ - دار الطليعة بيروت ط ١ ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .
- ٥٠ - تاريخ الامم والملوك لابي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠ هـ) دار الفكر بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- ٥١ - تاريخ الخلفاء لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٩١١ هـ) دار نهضة مصر بالقاهرة .
- ٥٢ - تاريخ فلسطين القديم لظفر الاسلام خان - دار النفائس بيروت ط ٣ ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- ٥٣ - تاريخ اليعقوبي لاحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب اليعقوبي (بعد ٢٩٢ هـ) دار صادر بيروت .
- ٥٤ - تقويم البلدان لابي الفداء عماد الدين بن اسماعيل صاحب حماة (٧٣٢ هـ) دار الطباعة السلطانية بباريس ١٨٤٠ م .
- ٥٥ - خريدة العجائب وفريدة الغرائب لسراج الدين ابي حفص عمر بن الوردي (ت ٧٤٩ هـ) مطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة ط ٢ ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م .
- ٥٦ - خطط الشام لمحمد كرد علي .
- ٥٧ - الحضرة الانسية في الرحلة القدسية لعبد الغني النابلسي (١١٤٣ هـ) مكتبة القاهرة بمصر .
- ٥٨ - ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي (٧٩٥ هـ) مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة .
- ٥٩ - رحلة ابن بطوطة - دار التراث بيروت ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
- ٦٠ - زبدة كشف المالك - غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري (٨٧٣ هـ) مطبعة الجمهورية بباريس ١٨٩٤ م .
- ٦١ - صورة الارض لابي القاسم بن حوقل النصيبي (بعد ٣٦٧ هـ) منشورات دار مكتبة الحياة بيروت .
- ٦٢ - الطبقات الكبرى لابن سعد دار صادر بيروت .
- ٦٣ - فتوح الشام لابي عبدالله محمد بن عمر الواقدي (٢٠٧ هـ) المكتبة الاهلية بيروت ط ١ ١٩٦٦ م .
- ٦٤ - فضائل القدس لابي الفرج بن الجوزي (٥٩٧ هـ) دار الافاق الجديدة بيروت ط ٢ ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
- ٦٥ - القلائد الجوهريه لمحمد طولون (٩٥٣ هـ) نشر مكتب الدراسات الاسلاميه بدمشق ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م .
- ٦٦ - الكامل في التاريخ لعلي بن محمد بن الاثير (٦٣٠ هـ) - دار الكتاب العربي بيروت ط ٢

١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

- ٦٧ - معجم البلدان لشهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (٦٢٦ هـ) دار صادر بيروت، ودار بيروت ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م .
- ٦٨ - المقدمة لابن خلدون - دار النشر العربية المصرية بالقاهرة .
- ٦٩ - نخبة الدهر في عجائب البر والبحر لشمس الدين ابي عبد الله محمد الدمشقي .

خامساً : كتب اللغة

- ٧٠ - تهذيب الأسماء واللغات لابي زكريا محي الدين بن شرف النووي (٦٧٦ هـ) دار الكتب العلمية بيروت .
- ٧١ - المصباح المنير لابي العباس أحمد بن محمد الفيومي (٧٧٠ هـ) المطبعة الاميرية بالقاهرة ط ٦ ١٩٢٦ م .
- ٧٢ - المفردات في غريب القرآن للحسين بن محمد الراغب الاصفهاني (٥٠٢ هـ) مطبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة .
- ٧٣ - النهاية في غريب الحديث للمبارك بن محمد بن الاثير (٦٠٦ هـ) - دار الفكر بيروت .

سادساً : الكتب الحديثة

- ٧٤ - اثار الحرب في الفقه الاسلامي للدكتور وهبه الزحيلي - دار الفكر بدمشق ط ١٤٠١٣ هـ - ١٩٨١ .
- ٧٥ - أحكام الصيام وفلسفته للدكتور مصطفى السباعي - المكتب الاسلامي بيروت .
- ٧٦ - الاسلام والقضية الفلسطينية - عبد الله ناصح علوان - مكتبة المنار بعمان ط ١٤٠٢١ هـ - ١٩٨٢ م .
- ٧٧ - الحروب الصليبية لارنست باركر .
- ٧٨ - عروبة بيت المقدس للدكتور اسحق موسى الحسيني - منشورات مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية بيروت ١٩٦٩ .
- ٧٩ - العلاقات الخارجية في دولة الخلافة للدكتور عارف ابي عيد - دار الارقم بالكويت ط ١ ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م .
- ٨٠ - فلسطين في الادب الجغرافي العربي للدكتور عماد الدين خليل ضمن كتاب دراسات تاريخية للمؤلف - المكتب الاسلامي بيروت ط ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- ٨١ - المدارس في بيت المقدس - للدكتور عبد الجليل حسن عبد المهدي - مكتبة الاقصى بعمان ١٩٨١ م .

٨٢ - مستقبل اسرائيل بين الاستئصال والتذويب - كمال محمد الاسطل - دار الموقف العربي بالقاهرة .

٨٣ - مصنفه النظم الاسلامية - الدكتور مصطفى وصفي - مكتبة وهبة بالقاهرة ط ١ ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

٨٤ - من تاريخنا - محمد العامري .

٨٥ - المؤامرات الصهيونية من خير الى القدس - حسن فتح الباب .

سابعاً : الدوريات

٨٦ - مجلة الامة القطرية .

٨٧ - مجلة البلاغ الكويتية .